الإرجاء
وضَرَرُه على عقِيدة الأمّة

عبدالملك بن عبدالنّور سعيد

اعتنى بِه وأشْرفَ عليه
د. أحمد القادري

علّقهُ وقدّم له
الأستاذ/ زيد بلال

بسم الله الرحمن الرحيم

" فإنْ كانَتْ المرجِئةُ الأُولى فتحتِ الباب للجهميّة فإنّ مرجئة اليومِ فتحت الباب لليبراليّة!"

الشّيخ عبدالعزيز بن مرزوق الطُّريفي

(فكّ الله بالعزّ أسره)

الخراسانيّة/539

.

إهداء

إلى روح أبي الطاهرة ..

إلى أمي مدرسة الصبر والتضحية والعطاء

إلى الأمة الإسلامية جمعاء حتى تستفيق من سباتها العميق وتستعيد ماضيها التليد

إلى طلبة العلم منارات الهدى ومشاعل النور

إلى أؤلئك جميعاً :

" أهدي إليهم هذا البحث المتواضع "

شكر وعرفان

أتقدم بجزيل الشكر والعرفان وجميل الحمد والامتنان لأستاذي الجليل الفاضل د/أحمد القادري حفظه الله, الذي كان له فضل المتابعة والإشراف على بحثي هذا ، ولم يبخل علي بجهد ولا وقت تصويبا ، وتدقيقا ، وبارك الله بجهوده المخلصة في خدمة العلم والإسلام، وكذلك إدارة جامعة النّجاح وكافة منسوبيها من الإدارة وهيئة التّدريس وجميع موظفّيها، والتّي استقبلتنا واحتضنتنا حقبةً من الزّمن فنهلنا من عطاءها فجزاهم الله عنّا خيرا وأجزل مثوبتهم.

ثم الشكر والتقدير على كل من ساعدني لإتمام هذا البحث وجزاهم الله عنّي وعن الإسلام خيرا .

ولا يفوتني هنا جميل الشكر وكبير الدّعاء لعلماء الأمّة وأئمة الدّين الذين حملو على عاتقهم همّ الدّين وبيانه ونشره وأبقى الله دينه بهم وأحياهم به بعد فضله فكانو بحقٍ أئمةً للمتّقين وهداةً للعالمين فنالو منازل الأبرار ومعيّة الأخيار محمّد صلوات ربي وسلامه عليه وآله وصحبه فجزاهم الله عنّا وعن الإسلام خيرا وبلّغهم وبلّغنا مراضيه وجمعهم وجمعنا في جنانه ۦاللهم آمين .

ومع أنّه لايسعني إحصائهم في هذه الورقات إلا أنّني أذكر في هنا طرفاً منهم وبقيّةً من علماء السّلف في عصرنا الحاضر سطّرو أروع السطّور في بيان الحقّ وقول كلمة الحقّ امام أئمة الجور ورؤوس الطّواغيت بل ومزجو مداد العلماء بمداد الشّهداء فأيقظو الأمّة من هاوية العدم وأعادو للإسلام هيبته وشرفه، وأشرفو الطلائع الأولى لكتائب الشّريعة وفرسان التّوحيد الّذين لم يزالو على العهد باقون وعلى درب أؤلئك العلماء والحق سائرون لإعادة حاكميّة الشّريعة وسلطان الله في الأرض ويستشرفون بذلك وعدالله ووعد رسوله بالخلافة الرّاشدة على منهاج النبوّة. ومن هؤلاء العلماء: أستاذ الجيل وشهيد القرآن – بإذن الله – سيّد قطب، العالم الإمام الشّهيد بإذن الله عمر عبدالرحمن، العالم الإمام الشهيد بإذن الله عبدالله عزام، والعالم الإمام الشّهيد بإذن الله حمود بن عقلاء الشّعيبي .
وغيرهم من رجالات الإسلام في العصر الحاضر ونوابغه الأفذاذ رحمهم الله جميعاً وألحقنا بهم على خير غير خزايا ولا مبدّلين.

تقديم

فضيلة الشّيخ زيد بلال

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:

فقد قرأت رسالة أخينا المكرّم/ **عبدالملك عبدالنّور سعيد** عن الإرجاء وأثره في الواقع المعاصر؛ فألفيتها نافعة مفيدة على اختصارها، تجمع بين التأصيل العقدي المبني على كلام السلف، وبين التعليق على الانحرافات في مسمى الإيمان، والتي أنتجت ما نراه من طوام في واقعنا المعاصر.

فقط، نود من الكاتب المكرّم إن تيسر له وقت وطاقة؛ أن يكبر بحثه الماتع هذا ويتوسع في إيراد الأقوال والآثار الواقعية المتعلقة بالإرجاء، والتي كانت سببا ضمن أسباب في هوي أمتنا إلى الحضيض والسفول، فتكون مرجعا وموئلا يفيء إليها الراغبون في ضبط حدود قضية الإرجاء والوقوف على أصولها وفروعها وتنزيلاتها المعاصرة.

نسأل الله الكريم أن يتقبل هذا العمل الصالح، وأن يفتح على أخينا وصديقنا من البحوث مزيدا.

وصلى الله وسلّم على سيّدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلّم

وكتبه/ زيد بلال

الثّامن من ذي الحجّة عام 1441هـ

المقّدمة

الحمدلله الّذي جعل في كل زمان فترةٍ من الرّسل بقايا من أهل العلم ، يدلّون من ضلّ إلى الهدى ويبصّرون بنور الله أهل العمى فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه وكم من ضالّ تائه قد هدوه فما أحسن أثرهم على النّاس وما أسوأ أثر النّاس عليهم ، ينفون من دين الله تحريف الغالين وانتحال المبطلين ثمّ أشهد ان لا إله إلّا الله وحده لا شريك له وأشهد أنّ مُحَّداً عبده ورسوله صلوات ربّي وسلامه عليه ما تعاقب اللّيل والنّهار ، أمّا بعد:

ختم الله جلّ في علاه رسالاته إلى الخلق رسالة الإسلامْ واختارها لأفضل الخلق وسيّد البشر مُحَّد بن عبدالله صلوات الله وسلامه عليه ، وترك محمّد أمّتَه على المحجّة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالكٌ ولا يتنكّبها إلّا ضال ، فأدى بذلك الأمانة وبلّغ الرّسالة ونصح الأمّةثمّ كان ما كان أن جرت سنّة الله في أمّته بعده سنّة الإختصام والتفرّق في الدّين مصداقاً لقول الله عزوجلّ في محكم تنزيله { وَلَا يَزَالُوْنَ مُخْتلفين } ، فكان أول شرر نزل بهم وأوَل محنةٍ ألمت بهم أن غلا بعضهم – الخوارج – في الإيمان معقد الإسلام وجناب الشّريعة فحادو عن الصّواب وجادو عن الحقّ مقترفين بتكفير المسلمين في الخطايا والذّنوب – لا سيّما الكبائر – فأحدثو في الدّين بدعةً وجعلو هواهم شِرعةً فضلّو وأضلّو وكان من ضلالهم المستبين وأثرهم اللعين على الدّين والأمّة أن خرج من رحمهم – وبسببهم – فِرقةٌ مشينة وطائفة ضالّة ميّعت أصول الدّين وهدّمت قواعده ،فجعلو لكلّ فاجرٍ مارقٍ للإسلام نصيب – والإسلام براء منه – ونفت من دين الله مبادئ جسيمة وطمست معالم عظيمة ألا وهي فرقة الإرجاء الّتي تعاقب علماء الملّة لقطع دابر شرّها وفقهاء الأمّة لبيان ضررها وفسادها على عقيدة المسلمين ، ويكاد ينتهي رأي العلماء بأنّه لا توجد فتنة أو مذهب أضرّ من هذه الأمّة من مذهب الإرجاء كما روي مثلاً عن الإمام شهاب الدّين الزهريّ :– " ما ابتدعت في الإسلا بدعة أضرّ على أهله من هذه ، يعني الإرجاء " .

ومن هنا كان لا بدّ من كشف مواضع تسرّب المفاهيم الإرجائية في العصر الحاضر ، وبيان وجه ارتباطها بالإرجاء وبيان مدى إفسادها لعقيدة الأمة للحذر والتّجنّب منها نظراً لتفشّيها واستشرائها في واقع الأمة الإسلامية اليوم! والله المستعان .

وثمّة أسئلة وُجّهت إليّ أثناء كتابتي للبحث من قبل الإخوة الطلبة أو من الأساتذة نفسها ، تدور حول أهمية هذا الموضوع وكيف يمكن أن توجّه الجهود نحو هذه البحوث ونحوها بينما هنالك عشرات المواضيع ذوات الأهمية لم تجد من يتفرّغ لها ويثريها بينما أمثال هذه البحوث قتله العلماء بحثاً وأكثرو فيه الكلام !

إنّ عرض أسئلةٍ كهذه لهي تنبئ مدى تعمّق المشكلة والأزمة التي تئن لها الأمة حتي في داخل أروقة الجامعات وصالات البحوث التي كان من المفترض أن تقدّم الحلول وتعالج الإنحرافات التي تزرح في جسد الأمّة ! ولا عجب إذ هي ساعة الهزيمة تجعل الحكيم المسدّد حيراناً لسطوتها على الأنفس وتأثيرها السّلبي على العقول ولأجل ذلك حذّر الله نبيّه محمّد صلوات ربي وسلامه عليه وأصحابه من الإنجرار نحو الهزيمة والإسْتسْلام لِلحظة الضّعف بعد هزيمة أحدٍ بقوله عزّوجلّ ﴿ **وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ** ﴾ آل عمران: 139)

يقول الأستاذ/ سيّد قطب في مقدّمة تفسير هذه الآيات :

" من معركة الجدل والمناظرة ، والبيان والتنوير ، والتوجيه والتحذير – فيما سبق من السورة – ينتقل السياق إلى المعركة في الميدان . . معركة أحد . .

وغزوة أحد لم تكن معركة في الميدان وحده؛ إنما كانت معركة كذلك في الضمير . . كانت معركة ميدانها أوسع الميادين . لأن ميدان القتال فيها لم يكن إلا جانباً واحداً من ميدانها الهائل الذي دارت فيه . . ميدان النفس البشرية ، وتصوراتها ومشاعرها ، وأطماعها وشهواتها ، ودوافعها وكوابحها ، على العموم . . وكان القرآن هناك . يعالج هذه النفس بألطف وأعمق ، وبأفعل وأشمل ما يعالج المحاربون أقرانهم في النزال!

وكان النصر أولاً ، وكانت الهزيمة ثانياً وكان الانتصار الكبير فيها بعد النصر والهزيمة . . انتصار المعرفة الواضحة والرؤية المستنيرة للحقائق التي جلاها القرآن؛ واستقرار المشاعر على هذه الحقائق استقرار اليقين . وتمحيص النفوس ، وتمييز الصفوف ، وانطلاق الجماعة المسلمة – بعد ذلك – متحررة من كثير من غبش التصور ، وتميع القيم ، وتأرجح المشاعر ، في الصف المسلم . وذلك بتميز المنافقين في الصف إلى حد كبير ، ووضوح سمات النفاق وسمات الصدق ، في القول والفعل ، وفي الشعور والسلوك . ووضوح تكاليف الإيمان ، وتكاليف الدعوة إليه والحركة به ، ومقتضيات ذلك كله من الاستعداد بالمعرفة ، والاستعداد بالتجرد ، والاستعداد بالتنظيم ، والتزام الطاعة والاتباع بعد هذا كله ، والتوكل على الله وحده ، في كل خطوة من خطوات الطريق ، ورد الأمر إلى الله وحده في النصر والهزيمة ، وفي الموت والحياة ، وفي كل أمر وفي كل اتجاه ." ([1])

([1]) سيّد قطب هو العالم المفسّر الشّهير، والّذي أعدمه جمال عبدالناصر في عام 1966م له مؤلفات مفيدة نافعة، منها كتاب معالم في الطّريق والتّفسير الرّائع المسمّى بِ"في ظلال القرآن" الّذي عاش لأجله ومات لأجله رحمه الله.
في ظلال القرآن: 1/425

إنّ الإنسان بفطرته النّفسيّة الضّعيفة مجبولٌ على هروب الواقع وإدراك حقائق الأشياء في لحظة الضّعف والبحث في أسباب الهزيمة ومقوّمات النصر، لذلك كثيرا ما تجد كلام الله عزّوجل يدعو إلى التأمّل والتمّعن في الذّوات بحثاً عن مسبّبات الإنتكاسة ومؤدِيات الهُلكة والخسارة، فانظر في قول الله عزّوجل ﴿ **وَمَا أَصَابَكُمْ مِن مُصِيبَةٍ فبِمَا كَسَبَتْ أيدِيكُم** ﴾ **: الشّورى 30)** وقوله عزّوجل ﴿ **قُلْ هُو مِنْ عِندِ أنفُسِكمْ** ﴾ **آل عمران:165)** وغيرها من الآيات التي تدعو إلى الرجوع إلى النّفس لبحث مكمن الدّاء وبؤر الفساد ليسهل الإصلاح ويتيسّر العلاج.

وكذلك اليوم فإنّ المسلمين من شدّة ما يتعرضون له من حملات احتلالٍ لبلادهم وإفسادٍ لعقيدتهم وحربٍ على دينهم وتفّوقٍ ماديٍ هائل للعدو الغربيّ الصليبيّ فهم يعيشون في لحظة رهيبةٍ عصيبةٍ ولا يعدو حالهم ما بين منبهرٍ في الحضارة الغربية الزّائفة مولعٍ باتّباعها داعٍ إليها وما بين منتكسٍ مكتوف الأيادى يتفرّج على مِحن الأمّة وآلامها ينتظر الفرج من السّماء ويراقب نزول الحلّ السحريّ وهومتّكئ عى أريكته جاهلٍ بأسباب النصر وسبل الحل ومنشئ ذلك كلّه الجهل بحقيقة المشكلة ومعرفة ماهيتها !

إنّ الأمة الإسلاميّة اليوم متى ما عرفت أن منشئ انحطاطها وأصل بليّتها ومشكلتها هو الحكم الجبريّ الّذي تسلط عليه وعبيد أسياد الصليبيّين وكلاب الحراسة للنّظام الدّولي الّذين تحكمو زمام أمر المسلمين وملكو العباد والبلاد فصادرو حكم الله وشرعه وأحلّو مكانه القوانين الوضعيّة الفاسدة ووالوْ أعداء الله ونهبو خيرات الأمة وثرواتها وجعلو مصير عقلاء الأمّة ما بين قتيلٍ وسجيّن ومشرّد، وكذلك دعاة الإرجاء وسدنة الطّواغيت الّذين طمس الله نور الحق عن قلوبهم وأعمى بصرهم وبصيرتهم الذين ينافحون ويذودون عن طواغيتهم ويلبسّون الناس عليهم ويأخذون لهم البيعات الشّرعية ويفسدون الناس على دينهم، فهؤلاء هم جوهر مشاكل الأمة وعين المعضلة، فمشكلة فساد الأخلاق ومشكلة ضعف الإقتصاد ومشكلة التخلّف العلميَ الذي تشكو منه الأمّة ما هي إلا أعراضٌ وظواهر لمشكلة رئيسيّة هي " الحكم الجبريّ " الّذي أزاح الحكم من شرع الله ومنهاجه، فمتى كانت الأمة الإسلامية وهي تحتكم إلى شرع الله تشكو من هذه المشاكل ؟

وهل كان يخلد المسلمون في الماضي القريب أن الأمور تؤول إلى ما آلت إليه الآن حيث أبعد الدّين وأزيح القرآن عن حياة المسلمين إزاحةً كاملة ؟ !!

فتّشو عن التّاريخ وابحثو ماضيَ هذه الأمة العظيمة لتجدو من صفحاته المشرقة وسجّلاته المبهرة وهي في عز حضارتها الإسلامية من المشرق إلى المغرب وفي ذروة العطاء والتقدم و الإبتكارات العلمية أنّها كانت ملتزمة جملةً لدينها محتكمةً إلى شرع ربّها رغم ما يشوبها من بعض المظاهر التي لا تمت للإسلام صلةً كالإستبداد وبعض البدع وغيرها إلا أنّها لم تكن يوماً من الأيّام تستمِدّ نظام حكمها وطرق حياتها من زبالات أفكار فلاسفة أوروبا التي كانت ضائعةً في بحور الجهل وتعيش في عصور الظّلام كما أصبح به المسلمون اليوم الّذين يتغنّون بأفكار الغرب ويحتذون حذو أوروبا في السّياسة والإقتصاد وطريقة الحياة وذلك عن طريق ترك الدين وإزاحته عن واقع النّاس ! وإلى الله المشتكى.

وهذا ما دفعني إلى كتابة البحث واختيار هذا الموضوع الّذي لم يتصدّ له إلاّ القليل رجاء منّي أن يكون جزءاً من لملمة جراح الأمة وإيقاف نزيفها المتدفّق وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يكتب له القبول وينفع به الإسلام والمسلمين.

اللهم بارك لنا في الأعمار والأعمال واجعلها خالصةً لوجهك الكريم وردّ المسلمين إلى دينهم ردّ جميلا .

مشكلة البحث:

بما أنّ بدعة الإرجاء –كما أسلفنا سابقاً – تُعدّ من أخطر البدع وأكثرها مفسدة وأسهلها تسرّبا ولتعرّضها لمسائل الإيمان والكفر الّذان هما المعقدان الرّئيسيّين في الدّين، ونشأ في الأمّة اليوم وبرز منها في الوقت الرّاهن من يدعو صراحةً وبدون غضاضةٍ إلى إحياء مذهب الإرجاء تحت تستّر موجة مواجهة الغلوّ والتّكفير تارّةً وبلباس اللّيبراليّة والإنسانويّة ودعوى صيانة حقوق الآخرين تارّاتٍ أخر، كان لزاماً علينا كشف ستار الإرجاء وهدم أواره وإحياء سنّة العلماء العاملين الّين كانو حماة الدّين وحصنه الحصين في مقارعة أهل البدع وبيان ضلالاتهم والتّحذير من فتنهم، فجزاهم الله عنّا وعن الإسلام خيرا وألحقنا بهم على الحقّ غير مبدّلين.

أهمية البحث:

لقد تعاقبت كلمات العلماء في تقرير أهمية العقيدة وضرورتها إلى إصلاح الأمّة وتغييرها ومدى مساهمتها في إحياء جذوة المجتمع وكل ذلك يتجلّى بأظهر صوره في ماضي المسلمين المشرق وواقعهم الأليم، لذا أصبح من الواجب على العلماء وعلى طلبة العلم دراسة العقيدة روايةً ودرايةً علماً وعملاً لحماية العقيدة والدّين من زبالات الأفكار المنحرفة والمذاهب الهدّامة الّتي تُنقض أصول الدّين لأنّ في ذلك سلامة الأمة وترفّعها من حضيض الخرافات والأوهام والشّرك وتمسّكها بحبل دين الله المتين واعتصام شرعه المبين، كي تنهض من جديد وتفضّ غبار الذّل والمسكنة الّذي بات فيها، وقد جاء هذا البحث مرهماً ناجحاً ودواءً ناجعاً لعرض العقيدة الصّافية النقِيّة التي تلقته الأمة من مُحَمَّد ﷺ وعلى إثره اقتفى الصحابة رضوان الله عليهم ومن بعدهم من السلف الصّالح على وجه العموم وبيان مسائل الإيمان وخوض غمارها والتجرّد لتفنيد دقائقه على وجه الخصوص.

أهداف البحث:

من الأهداف الّتي يسعى إلى إبرازها البحث:

1- بيان عقيدة أهل السّنة والجماعة على فهم سلف الأمّة وذكر محاسنها.

2- كشف عوار مذهب الإرجاء وردّ شبهاته وضلالاته .

3- الذّب عن الإساءة في الفهم الخاطئ لأقوال الصّحابة والعلماء والنّصرة لمذهبهم.

4- عرض مظاهر الإرجاء المعاصر ومواطن تسرّبه في الواقع ومدى علاقته بواقع الأمّة المأزوم.

منهج البحث:

سلكت في هذا البحث المنهج الوصفي الإستقرائي ، وذلك باستقراء العقيدة الصّحيحة الصّافية الثابتة عن النبيّ ﷺ والصّحابة والسّلف وانتهج به أهل السّنة والجماعة والمدوّنة في كتب العلماء الأفذاذ ثم تهذيبها وتطبيقها في واقع المسلمين اليوم أملاً في كشف علله ورغبةً في إصلاحه ، نسأل الله سبحانه أن يوفّقنا لما فيه صلاح الدّين والأمّة. اللهم آمين.

وأراعي في منهج البحث:

1- عزو الآيات القرآنية إلى سورها وذكر رقم الآيات.

2- تخريج الأحاديث النّبويّة من مصادرها .

3- ترجمة الأعلام ما عدا الصّحابة والأئمة الأعلام.

4- تفسير بعض الألفاظ الغريبة والتي تحتاج إلى تفسير.

5- وضع الفهارس المناسبة.

الدّراسات السابقة:

رغم أنّ مثل هذه المواضيع مع عظم أهميتها إلّا أنها لم تتلقّ البحث والتّحقيق الكافي، فمن الدّراسات السابقة التي اعتمدت عليها في بحثي هذا رسالةً علميةً للشّيخ الدكتور سفر الحوالي – فكّ الله بالعزّ أسره – نال بها درجة الدكتوراه في جامعة أم القرى كلية الشريعة – فرع العقيدة- عام 1406هـ أسماها " ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي" وأيضا بحثاً علميّا مستقِلّا لسعد بن بجاد العتيبي بعنوان " تسرّب المفاهيم الإرجائيّة في الواقع المعاصر " .

➢ مالّذي يتميّز بحثي عن البحوث المذكورة آنفاً ؟

إنّ البحوث السّابقة والدّراسات المؤلّفة في هذا الموضوع، رغم أنّها ثريّة لا غنى عنها لطالب العلم إلّأ أنني أعتبر دراستي وبحثي مختلفةً عنها لأسبابٍ عدّة أهمّها :

1- أنّها في أوّل الأمر، متأخّرةٌ عن الرّسالات السّابقة، لذلك تجمع بين الواقعيّة والموضوعيّة في تناول الأمر والحديث عن الإرجاء، ولعلّي لست خاطئاً إن قلتُ أنّ الموضوع بات مفهوماً لدى عامّة النّاس فضلاً عن نخبتهم – وإن كان يوجد إلى الآن غبشٌ في جلاء فكر الإرجاء – نظراً للّذي استجدّ من الأحداث والوقائع في حياة المسلمين.

2- أنّني حاولت قدر استطاعتي، إبراز تاريخ نشئة الإرجاء القديم والحديث بصورةٍ أقرب إلى الواقع وكذلك بيان أوجه الإختلاف والإتّفاق بينهم، وأيضا ذكرُ ما يتميّز الإرجاء المعاصر عن الأرجاء الأصليّ – اي علامات الإرجاء المعاصر – وإن كان الإرجاء عقيدةً وفكرا واحدا .

خطة البحث:

يتكوّن البحث من تمهيد وثلاثة مباحث رئيسيّة :

المقدّمة وفيها:

1- مشكلة البحث

2- أهمية البحث

3- أهداف البحث

4- منهج البحث

المبحث الأوّل: مفهوم الإرجاء وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأوّل: تعريف الإرجاء لغة واصطلاحاً.

المطلب الثّاني: نشأته التّاريخيّة وجذوره .

المطلب الثالث: أقوال السّلف فيه.

المبحث الثّاني: ظاهرة الإرجاء المعاصرة وفيه مطالبين :

المطلب الأوّل: صور من الإرجاء المعاصر .

المطلب الثّاني: أضراره وعلاجه.

الخاتمة وفيها:

الختام والتّوصيات.

المراجع والفهارس.

المبحث الأوّل: مفهوم الإرجاء ويشتمل على:

المطلب الأوّل: تعريف الإرجاء لغة واصطلاحاً.

المطلب الثّاني: نشأته التّاريخيّة وجذوره .

المطلب الثالث: أقوال السّلف فيه.

المطلب الأوّل: تعريف الإرجاء ودلالاته اللّغويّة والإصطلاحيّة:

أولا: الإرجاء لغة:

الإرجاء يطلق على معان عدّة منها الأمل، النّاحية، التّأخير، وقد يهمز وقد يهمز فإذا كان غير مهموز وكان أصله " رجى " فهو يدلّ على أصلين متباينين يدلّ أحدهما على الأمل والآخر على ناحية الشّيء.

يقول ابن فارس: " فالأوّل الرّجاء وهو الأمل يقال رجوت الأمر أرجوه رجاءً ثم يُتّسع في ذلك وربّما عبّر عن الخوف والرّجاء، قال الله تعالى : ﴿ **مَالكُم لا تّرجُون لله وقاراً** ﴾ **سورة: نوح/13)** أي لا تخافون له عظمةً، وأمّا الآخر فهو مقصور وهو الرّجا ويطلقُ على كلّ ناحية رجا، قال الله تعالى:﴿ **والمَلّكُ على أرْجائِها ويّحْمِلُ عرشَ ربّك فوقهم يومئذٍ ثمانية** ﴾ **سورة: الحاقة/18**) ". ([1])

أمّا إذا كان غير مهموزٍ فإنّه يدل على التّأخير، يقول الفيروز أبادي في القاموس المحيط:" أرجأ الأمر أخّره كما قال الله عزّوجلّ ﴿**وآخَرُون مُرجَون لأمر الله** ﴾ **سورة: التّوبة/106)** أي مؤخرون حتى ينزّل الله فيهم ما يريد، ومنه سمّيتِ المرجئة ". ([2])

وعلى هذا فالإرجاء يأتي على أغلبه بمعنى التّأخير وهو الأقرب للدّلالة الشّرعيّة للإرجاء من بين معانيه اللّغويّة.

([1]) ابن فارس هو العلّامة، والشيخ الجليل أحمد بن فارس بن زكريّا بن مُحَّد بن حبيب الرازيّ اللغويّ، يُكنّى بأبي الحسين،وضع ابن فارس قبل وفاته العديد من المؤلّفات أهمّها معجم مقاييس اللّغة وجامع التّأويل في تفسير القرآن.
معجم مقاييس اللّغة (494/2)

([2]) الفيروزآبادي مُحَّد بن يعقوب بن مُحَّد ، أبو طاهر، مجد الدين الشيرازي الفيروزآبادي من أئمة اللغة والأدب، من كتبه القاموس المحيط والبلْغة في تاريخ أئمّة اللّغة.
البحر المحيط: ص 4

ثانياً: الإرجاء اصطلاحاً:

وردت نعاريف عدّة مختلفة للإرجاء ومتباينة المضمون، منها :

1- تأخير العمل عن النّية والعقد ([1]) اي إخراج العمل عن مسمّى الإيمان.
2- وقيل تأخير حكم صاحب الكبيرة إلى يوم القيامة ([2]) .
3- وقيل تأخير عليّ ﷺ عن الدّرجة الأولى إلى الرّابعة ([3]).

وبعرض هذه التعاريف نجد أنّ الأشمل لطوائف المرجئة والغلب عند الإستعمال هو التعريف الأوّل.

تنبيه :

إنّ كل التعاريف التي ذكرناها للإرجاء ما هي إلا تعبيراً عن مضمون اعتقاد أهل الإرجاء وليست التّعاريف المعهودة كما يبوّبون لها عادةً في الإصطلاحات الشّرعيّة، ويظهر لي- والله أعلم – أنّه عند دراسة الفِرق وعقائد الطّوائف يختلف الأمر عن باقي المجالات العلميّة الأخرى، ويكون تعريف الطّوائف الإخبار عن إعتقادهم والكلام حول مذهبهم، ومن شواهد هذا ماروواه الإمام الطّبري في تهذيب الآثار " قال: سئل ابن عيينة عن الإرجاء فقال: الإرجاء على وجهين: قومٌ أرجو أمر علي وعثمان فقد مضى أمر أؤلئك، فأمّا المرجئة اليوم فهم يقولون: الإيمان قول بلا عمل، فلا تجالسوهم ولا تؤاكلوهم ولا تشاربوهم ولا تصلّو معهم ولا تصلّو عليهم " ([4]).

فانظر رحمك الله، بم أجاب الإمام سفيان ابن عيينة حين سئل عن الإرجاء وكيف عرّفهم باعتقادهم ومذهبهم، ولولا ضيق المقام لسقنا كلاماً كثيراً لأئمة المسلمين مطابقاً عمّا نقلناه من ابن عيينة.

ويظهر أيضا خلال عرضنا لمفهوم الإرجاء اللّغوي والشّرعي أنّه ثمّة علاقة بين المسمّى والمعتقد، فالمسمّى اللّغوي للكلمة يدلّ على التأخير بينما المعتقد هو: تأخير الأعمال عن النيّة والإعتقاد، فبذلك تكون المرجئة من الطّوائف القليلة التي يتوافق مسمّاها اللّغوي والشّرعي مثل الرّوافض والخوارج وغيرها.

([1]) الشهرستاني الأفضل مُحَمَّد بن عبد الكريم بن أحمد الشهرستاني ، أبو الفتح شيخ أهل الكلام والحكمة ، وصاحب التصانيف الرّائعة منها الملل والنّحل ومصارعة الفلاسفة .
الملل والنّحل: ص162

([2]) المصدر نفسه: ص 162 ([3]) المصدر نفسه: ص 162

([4]) الإمام أبو جعفر مُحَمَّد بن جرير الطبري، إمام المفسرين. صاحب أكبر كتابين في التفسير والتاريخ.
ابن عيينة، هو الإمام سفيان بن عيينة ابن أبي عمران ميمون مولى مُحَمَّد
تهذيب الآثار: 658/2

المطلب الثّاني: النّشأة التّاريخيّة للإرجاء:

أولا: ظهور البدع وأسبابها :

إنّ من سنن الله الكونيّة القدريّة سنّة الإختصام والتفرّق في الدّين، وهي سابقةٌ جرت في أمّة مُحَمّد كما جرت في الأمم قبلنا، كما يخبر عنه المصطفى – ﷺ – من حديث عرباض بن سارية { **فإنّه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً** } أخرجه أبو داود (4607) واللفظ له، وأحمد (17185) ، وكذلك أحاديث الإفتراق التي صحّت عن النبيّ صلى الله عليه وسلّم، وبما أنّ الفرقة عذابٌ والإجتماع رحمةٌ فقد حثّ الشّرع على وجوب الإعتصام بكتاب الله والتّعاون على الخير والبرّ ونهى التّفرّق في الدين وذمّ الخلاف واتبّاع الهوى المورثان حتماً للإختلاف والتفرّق.

ولظهور البدع وتفشّي الأهواء جملةٌ من الأسباب، نلخّصها ما يلي:

1- الجهل بأحكام الدّين:

والجهل بأحكام الدّين إنّما يأتي بعد انحراف الأنفس وزيغ القلوب والنيل عن السنّة والعدول عن الحقّ، ومنشأ ذلك كلّه كما ذكره الرّسول صلى الله عليه وسلّم " إنّ الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتّى إذا لم يبق عالماً اتّخذ النّاس رؤوساً جهّالاً، فسئلو فأفتو بغير علم فضلّو وأضلّو" !

وواقع اليوم دليل حيّ وحجّة صارخةٌ على ذلك إذ تصدّر الجُهّال فضلّو وأضلّو النّاس وتمكّنت الرويبضة في زمام أمر الأمّة، فأهلكو الحرث والنّسل وأورثو النّاس المذلّة والعار، فآل الأمر إلى الفساد واستحكم الوهي والله المستعان وعليه التّكلان.

2- اتّباع الهوى في استنباط الأحكام:

الهوى هو ميلٌ عن الحقّ الى رغبات النّفس ومراداتها وكما يكون في الشّهوات يكون في الشّبهات، واتّباع الهوى أصل كل زيغٍ وأساس كلّ انحراف، والنّفس الأمارة بالسّوء هي التي تؤثّر غقل الإنسان فتخرجه من حظيرة الفطرة السّليمة المتّسقة مع الوحي.

يقول الشّيخ الطّريفي في كتابه الماتع، الفصل بين النّفس والعقل:

" والنّفس التي تشتهي وتهوى وتطمع في شيء، تبحث عن العلم الّذي يحقق لها شهوتها وهواها، فينبغي مقابلتها بضدّ طمعها وحرمانها حين ذلك من العقل" . ([1])

فلم يعصِ أبونا آدم أمر ربّه إلا طمعاً واستهواءً لِ ﴿ **هل أدلّك على شجرة الخُلد وملكٍ لا يبلَى** ﴾ **السورة:** طه / **120**) ولم يعصِ كذلك إبليس ربّه عندما أمُر بالسّجود لآدم إلا رؤيةً لهوى نفسه وطغيانه وكبره ﴿ **قال أنا خيرٌ منه خلقتني من نارٍ وخلقتَهُ من طين** ﴾ **السورة: الأعراف /12**).

يقول الإمام ابن القيّم رحمه الله كلاماً في بالغ الأهمية في كتابه " روضة المحبّين ونزهة المشتاقين" :

" إنّ الهوى ما خالط شيئاً إلا أفسده، فإن وقع في العلم أخرجهُ إلى البدعة والضّلالة وصار صاحبهُ من جملة أهل الأهواء، وإن وقع في الزهد أخرج صاحبه إلى الرّياء مخالفةً للسنّة، وإن وقع في الحكم أخرج صاحبهُ إلى الظُلم وصدّه عن الحقّ، وإن وقع في القسمة خرجت عن قسمة العدل إلى قسمة الجور وإن وقع في الولاية والعزل، أخرج صاحبه إلى خيانة الله والمسلمين حيث يولّي بهواه ويعصي بهواه، وإن وقع في وقع في العبادة خرجت أن تكون طاعةً وقربةً، فما قارن شيئا إلا أفسده " ([2])

وهو كما أخبر الله عزوجلّ في كتابه كتابه العزيز، حيث قال : ﴿ **ومنْ أضَلّ ممّن اتّبع هواهُ بغير هدى من الله** ﴾ **السّورة: القصص/50**).

ومن اتّباع الهوى، اتّباع المشابه من الأحكام وتتبّع تأويلاته ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله كما أخبر الله سبحانه حيث قال: ﴿ **هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ** ﴾ السّورة: **آل عمران/7**) .

([1]) الشيخ عبد العزيز الطريفي : باحث شرعي، ولد في عام 1396هـ، وقد تخرج في كلية الشريعة بجامعة الإمام مُحَّد بن سعود الإسلامية، وله العديد من المؤلفات، منها تفسيره الشّهير التفسير والبيان

الفصل بين النّفس والعقل: ص58

2]) الإمام مُحمّد بن أبي بكر بن أيّوب بن سعد بن حريز الزرعي الدمشقيّ، والملقّب بشمس الدين وابن قيم الجوزيّة اشتهرَ الإمام ابن قيّم الجوزيّة رحمهُ الله تعالى بكثرة مُؤلّفاته وتنوّعها منها زاد المعاد ومدارج السّالكين .

روضة المحبّين ونزهة المشتاقين: ص 458

والرّاسخون في العلم هم الّين يعلمون تأويل هذه المتشابهات وأنّ ذمّ اتّباع هذه المتشابهات عامٌ يتناولُ الجاهل والعالم على حدٍّ سواء، يقول الطّريفي في التّفسير والبيان :

" وقد جعل الله علم المتشابه عند الرّاسخين لا مجرّد العالمين، فليس كلّ عالمٍ راسخاً وإن كان كلّ علمٍ راسخاً والعالم الرّاسخ هو الذي يعلم المحكم والمتشابه، فيقصدُ بطلبها منها، والعالم غير الرّاسخ الّذي يعلم المحكم لا المتشابه، فيقصد في المحكمات لا المتشابهات، فيرجع في فصل المتشابه إلى أهل الرّسوخ في العلم لا إلى مجرّد وصف العلم" ([1])

وممّا يؤيّد هذا المعنى ما يخرجه الإمام الطّبري في جامعه بما **رواه الحاكم في المستدرك بسنده عن طاووس** قال: سمعت ابن عباس يقول (وما يعلم تأويله إلا الله) ويقول (والرّاسخون في العلم يقولون ءامنّا به) وممّا لا شكّ به أنّ هناك أموراً لا يعلمها إلاّ الله بنصّ القرآن والسنّة الصحيحة. ([2])

ومن جملة اتّباع الهوى، التّعصب لآراء الرّجال وإن كانو على خلاف الحقّ والصواب وهو بذاته بدعة ذميمةٌ بل هو من أمر الجاهليّة ومن شيم المغضوب عليهم.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية، في ذمّ البدع وأصول الإبتداع:

" من تعصّب لواحدٍ بعينه من الأئمة دون الباقين فهو بمنزلة من تعصّب لواحدٍ بعينه من الصّحابة دون الباقين، كالرّافضي الّذي يتعصّب لعليّ دون الخلافاء الثّلاثة وجمهور الصحابة، وكالخارجيّ الّذي يقدح في عثمان وعليّ رضي الله عنهما فهذه طرق أهل البدع والأهواء الّين ثبتت بالكتاب والسّنة والإجماع أنهم مذمومون، خارجون عن الشّريعة والمنهاج الّذي بعث الله به رسوله صلى الله عليه وسلّم، فمن تعصب لواحدٍ من الأئمة بعينه ففيه شبةٌ من هؤلاء سواءٌ تعصّب أو الشافعي أو أبو حنيفة أو أحمد وغيرها " ([3])

والتعصّب هو نتاج اتّباع الهوى، وقد يحول بين المرء واتّباع الدّليل ومعرفة الحق كما قال الله عزّوجل :

﴿وإذا قيلَ لهُم اتَّبِعوا ما أنزلَ الله قالو بل نتّبعُ ما وجدنا عليه آباءنا﴾ السّورة: البقرة/170) .

([1]) التفسير والبيان:ص 578

([2]) ابن تيمية شمس الأئمة والعالم الجهبذ، أبو العبّاس أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية صاحب مجموع الفتاوى والدّرر النّفيسة في العقيدة والفقه والجدل والمناظرة

ذمّ البدع وأصول الإبتداع : ص 279

([3]) جامع البيان في تأويل آي القرآن 183/3

فانظر رحمك الله كيف يعمى التّعصب الرّجال عن الحقّ وهذا هو شأن المتعصّبين في السّلف والخلف ويتّبعون أهواء الرّجال وأفكار المنحرفين تاركين وراءهم الدّليل والحق وهم بذلك يحسبون أنّهم يحسنون صنعاً.

3- التّأثّر بالأفكار والفلسفات الغربية من اليونان وغيرها:

نجد عند دراستنا للفرق والطّوائف وأصولها التي أحدثت في الدّين بدعاً ليس فيه، أنّ منشأ انحرافها ومخالفتها للسنّة ومحادّاتهم لفهم سلف الأمّة هو تأثّر أغلبهم في الفلسفات والملل الكفريّة، فالرّافضة أخذت من اليهود والمجوس وكذلك الجهميّة والمعتزلة أخذت عن الصّابئة وفلاسفة اليونان وأخذت القدريّة عن النصارى، وهذا مما أخبر عنه المصطفى – صلّى الله عليه وسلّم – من قبل حين قال: من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ **{ لتتّبعنّ سنن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعًا بذراع، حتَّى لو سَلَكُوا جُحْر ضَبٍّ لَسَلَكْتُمُوهُ، قلنا: يا رسول الله؛ اليهودُ والنَّصارى، قال النَّبيُّ ﷺ**: ((**فَمَنْ**؟!)) **}** رواه البخاري (3456) في كتاب الأنبياء، ومسلم (2669) في كتاب العلم.

يقول الإمام ابن الجوزي رحمه الله :

" ولما كانت الفلاسفة قريباً من زمان شريعتنا والرّهبنة كذلك، مدّ بعض أهل ملّتنا يده إللى التّمسّك بهذه، وبعضهم مدّ الى التّمسك بهذه، فترى كثيراً من الحمقى إذا نظرو إلى الإعتقاد تفلسفو ، وإن نظرو في باب الزّهد ترهبنو، فنسأل الله ثباتاً على ملّتنا وسلامةً من عدوّنا" ([1])

ومثل هذا الكلام لشيخ الإسلام ابن تيمية، في معرض حديثه عن هذا السّبب حيث قال:

" وهؤلاء منهم من يفضّل الفلاسفة على الأنبياء في العلم ويقول: إنّ هارون كان أعلم من موسى، وأنّ عليّاً كان أعلم من النبيّ كما يزعمزن، وأنّ الخضر كان أعلم من موسى، وأنّ عليّا وهارون والخضر كانو فلاسفة، يعلمون الحقائق العقليّة أكثر من موسى وعيسى ومُحَّد عليهم السّلام، لكنّ هؤلاء في الفوة العلميّة أكمل، ولهذا وضعو الشّرائع العلميّة، وهؤلاء يفضّلون فرعون على موسى ويسمّونه أفلاطون القبطيّ، وغيرها من المقالات التي تقولها الملاحدة المتفلسفة المنتمون إلى الإسلام في الظّاهر من متشيّعٍ ومتصوّفٍ كابن سبعين وابن عربي وأصحابه " ([2])

([1]) ابن الجوزي، هو أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن علي بن مُحَّد القرشي التيمي البكري. فقيه حنبلي محدّث و مؤرخ و متكلّم له مؤلّفات نافعة منها ذمّ الهوى وتلبيس إبليس وصيد الخاطر

منهاج السنّة لابن تيمية:336/5

([2]) المصدر السّابق: 336/5

وبسبب هذه الأسباب وغيرها ممّا يصعب حصره في هنا، تسرّب إل الشّريعة بدعٌ كثيرةٌ ليس لها أصلٌ في كتاب الله ولا من هدي رسوله، وشذّ في الدّين أقوامٌ ليس لهم قِدمٌ راسخةٌ في الإسلام، وزلّ به عمالقةٌ من أهل العلم خالفو المسلمين جملةً في أبواب الإعتقاد أو بعضٍ منها بقصدٍ أو بغير قصد، وجماع الدين والعاصم من الفتن والإبتداع هو اتّباع سنّة رسول الله والتّمسّك بحبل الله مصداقاً لقول الله عزّوجلّ ﴿ **واعتصِمُوا بحبلِ الله جميعاً ولاَ تفرّقُو** ﴾ **السّورة: آل عمران/103**)

وكذلك قوله سبحانه، ناصحاً لخلقه راشداً لهم :

﴿ **وأنّ هذا صراطي مستقيماً فاتّبعوه ولا تتّبعو السّبل فتفرّق بكُمْ عنْ سَبِيلهْ** ﴾ **السّورة: الأنعام/153**).

لطيفة مهمّة لشيخ الإسلام ابن تيمية في مكان ظهور البدع:

يقول رحمه الله " فإن الأمصار الكبار التي سكنها أصحاب رسول الله ﷺ وخرج منها العلم والإيمان خمسة: الحرمان والعراقان والشام، منها خرج القرآن والحديث والفقه والعبادة وما يتبع ذلك من أمور الإسلام، وخرج من هذه الأمصار بدع أصولية غير المدينة النبوية؛ فالكوفة خرج منها التشيع والإرجاء وانتشر بعد ذلك في غيرها، والبصرة خرج منها القدر والاعتزال والنسك الفاسد وانتشر بعد ذلك في غيرها، والشام كان بها النصب والقدر، أما التجهم؛ فإنما ظهر في ناحية خراسان، وهو شر البدع.

وكان ظهور البدع بحسب البعد عن الدار النبوية، فلما حدثت الفرقة بعد مقتل عثمان؛ ظهرت بدعة الحرورية، وأما المدينة النبوية؛ فكانت سليمة من ظهور هذه البدع، وإن كان بها من هو مضمر لذلك؛ فكان عندهم مهانا مذموما؛ إذ كان بهم قوم من القدرية وغيرهم، ولكن كانوا مقهورين ذليلين؛ بخلاف التشيع والإرجاء في الكوفة، والاعتزال وبدع النساك بالبصرة، والنصب بالشام؛ فإنه كان ظاهرا، وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الدجال لا يدخلها.

ولم يزل العلم والإيمان بها ظاهرا إلى زمن أصحاب مالك، وهم من أهل القرن الرابع، فأما الأعصار الثلاثة المفضلة؛ فلم يكن فيها بالمدينة النبوية بدعة ظاهرة ألبتة، ولا خرج منها بدعة في أصول الدين ألبتة كما خرج من سائر الأمصار". ([1])

([1]) مجموع الفتاوى: 20/300-303

ثانيا: نشأة الإرجاء وجذوره:

إنّ الإرجاء الموقفيّ الّذي ظهر نتيجةً للفتن التي جرت بين الصّحابة رضوان الله عليهم في أواخر عهد عثمان، وبين عقيدة الإرجاء التي ظهرت في أواخر القرن الأوّل وتحديداً بعد هزيمة ابن الأشعث عام 83/82 هـ ([1])يجتمعان في كون كليهما ردّة فعل لأحداث داميةٍ وقعت بين المسلمين في أزمنةٍ مختلفة وموقفاً خلقته الأحداث.

فالإرجاء الأوّل الّذي ظهر في عهد الصّحابة رضوان الله عليهم والّذي ينسب إلى مُحَّد بن الحنفيّة([2])، كان ردّة فعل لخوض النّاس في الفتنة التي حدثت بين الصّحابة وركوب النّاس في أمواجها، فلما اشتدّ امر العامّة في خضمّ هذه الأحداث كان موقف الإعتزال والإمساك عمّا جرى بئينهم موقفاً رآه البعض صواباً ومنقِذاً من الفِتن حتّى أوردهم إلى القول " بأن لا يتولو ولا يُتبرّأ منهم " ([3]) اي ما حدث بين الصّحابة (عليّ وعثمان) فأحدثو بذلط ثلمةً في الدّين وابتدعو فيه من غير أصل.

أمّا عقيدة الإرجاء أو فكر الإرجاء الّذي نحن بصدد البحث فيه، فإنّه ينسب إلى التابعيّ ذرّ بن عبدالله الهمدانيّ بعد شكوك وإشكالاتٍ وقعت منه عن الإيمان، فاستحكمت به الشّبه وغلبت عنه الهوى، فقال بهذا القول الشّنيع.

يقول اسحاق بن إبراهيم: قلت لأبي عبدالله أحمد بن حنبل: " أوّل من تكلّم في الإيمان من هو؟ قال: يقولون: أوّل من تكلّم فيه ذرّ" ([4])

وقيل: اوّل من تكلّم فيه رجلٌ بالعراق اسمه: قيس بن ماصر ([5])

وقيل: إنّ أوّل من أحدثهُ حمّد بن سليمان شيخ أبي حنيفة ([6]).

([1]) ابن الأشعث، الأمير متولي سجستان ، عبد الرحمن بن مُحَّد بن الأشعث بن قيس الكندي . بعثه الحجاج على سجستان، فثار هناك ، وأقبل عليه جمع كبير ، وقام معه علماء حتى قهره الحجّاج وقتله، وقيل أصابه السلّ فمات.

([2]) وينسب إليه هذا القول وهو ابن الإمام علي ابن ابي طالب ﷺ من زوج غير فاطمة وهي من سبي اليمامة زمن أبي بكر الصديق ، واسمها خولة بنت جعفر الحنفية، وقد صحّ عنه أنّه قد رجع عنه أنظر: ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي : ص236

([3]) نفس المصدر السّابق: ص236 وكذلك الملل والنّحل: 144/1

([4]) ذرّ بن عبدالله الهمداني، وهو تابعى متعبد، توفى قبل نهاية القرن الأول، روى حديثه الجماعة، الميزان للذّهبي .

([5]) قيس بن ماصر ، لم أعثر له على ترجمة خلال بحث له ،تهذيب التّهذيب: 490/7

([6]) حمّاد بن أبي سليمان،فقيه وعالم من الكوفة، وهو شيخ ومعلم الإمام أبو حنيفة النعمان .
سير أعلام النّبلاء : 223/5

وقد يجمع في هذه الأوال حدود تتبّعي مع أنيّ لم أر من حاول جمع الأقوال في هذه المسألة، بأنّ أوّل من تكلّم عن الإرجاء هو التّابعي ذر بن عبدالله الهمدانيّ وأخذ عنه حمّاد بن سليمان ثمّ اشتهر بعد ذلك وصار مذهبا في الكوفة يدرس فيها ومنا ينتشر والله أعلم بالصّواب.

والإرجاء كما سبق هو إخراج العمل عن مسمّى الإيمان والقول بأنّه تصديق في القلب وإقرارٌ باللّسان، والأعمال شرط كمالٍ لا صحّة، وتارك الأعمال بالكلّية ناجٍ مسلم وهم عكس الخوارج الّذين جعلو آحاد الأعمال كلّها من أصل الإيمان فكفّرو بذلك مرتكب الكبيرة، والخوراج والمرجئة يجتمعان في جعل الإيمان شيئا واحداً لا يتجزّأ لكنهم مختلفون في علاقة الأعمل بالإيمان.

وقد فتح هذا النّوع من الإرجاء الباب لمذهب غلاة المرجئة الّذين جاؤو بعدهم كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية " وقد صار بذلك ذريعةً إلى بدع أهل الكلام من الإرجاء وغيرهم وإلى ظهور الفسق " ([1])

والمرجئة أقسامٌ ومراتب، أشرّها غلاة المرجئة، الّذين جعلو الإيمان المعرفة القلبيّة فقط، وهؤلاء هم أفسد المذهب وأقبحها، إذ أنّ لازم قولهم يستلزم أنّ فرعون وإبلس كانا مؤمنين، فإبليس عرف ربّه حتّى أنّه كان يعرف أنّ كافّة الخلق لها أجل محدّد، فسئل ربّه أن يمهله إلى يوم البعث، وكذلك فرعون عرف صدق ما جاء به موسى وهارون فلم يؤمن به ولهذا قال له موسى عليه السّلام ﴿ **قال لقدْ علِمت ما أنزلَ هؤلاء إلاّ ربّ السّماوات والأرض** ﴾ **سورة/ الإسراء، ألآية : 102**) ، لكنّهم لم يلتزمو أوامر الله ولم يقرّو دينه بل أعماهم الكبر والطّغيان عن نور الإسلام والإيمان.

يقول ابن القيّم عليه رحمة الله في نونيّته، ذاكراً دناءة مذهب جهم وعلاة المرجئة :

قالوا وإقرار العباد بأنه * خلاقهم هو منتهى الأيمان
والناس في الأيمان شيء واحد * كالمشط عند تماثل الاسنان
فاسأل أبا جهل وشيعته ومن * ولاهم من عابدي الاوثان
وسل اليهود وكل أقلف مشرك * عبد المسيح مقبل الصلبان
واسأل ثمود وعاد بل سل قبلهم * أعداء نوح أمة الطوفان
واسأل أبا الجن اللعين أتعرف ال * خلاق أم أصبحت ذا نكران

([1]) مجموع الفتاوى: 394/7

واسأل شرار الخلق أعني أمة * لوطية هم ناكحو الذكران
واسأل كذاك إمام كل معطل * فرعون مع قارون مع هامان
هل كان فيهم منكر للخالق الرب * العظيم مكون الا كوان
فليبشروا ما فيهم من كافر * هم عند جهم كاملو الأيمان

وهنا أذكر لطيفةً مهمّة لشيخ الإسلام ابن تيميّة في نشأة الإرجاء وسائر البدع كما أسلفنا، وتعليقاً للأستاذ علوي سقاف، وقد ذكرنا سابقاً كلاماً مشابهاً لما سننقله الآن، نبتغي به ترسيخ المعلومة وتكثير الفائدة.

يقول الأستاذ/علوي سقاف في مقال ممتعٍ له في موقعه الدّرر:

" يقرر شيخ الإسلام أن نور النبوة كلما ظهر انطفت البدع، وأن قبح البدعة وظلمتها ونكارتها مرتبط – من حيث الجملة – بزمن ظهورها، فكلما انت أشد، فإن وقت ظهورها يتأخر عن عصر الرسالة، فأول فرق الضلال ظهورا الخوارج واليعة، ثم القدرية والمرجئة، ثم الجهمية.

يقول شيخ الإسلام: "والبدعة كلما كانت أظهر مخالفة للرسول يتأخر ظهورها، وإنما يحدث أولا ما كان أخفى مخالفة للكتاب والسنة .

ويقول: "وكان ظهور البدع والنفاق بحسب البعد عن السنن والإيمان، وكلما كانت البدع أشد تأخر ظهورها، وكلما كانت أخف كانت إلى الحدوث أقرب، فلهذا حدث أولا بدعة الخوارج والشيعة، ثم بدعة القدرية والمرجئة، وكان آخر ما حدث بدعة الجهمية.

ويقول أيضا: "فإن البدع إنما يظهر منها أولا فأول الأخف فالأخف، كما حدث في آخر عصر الخلفاء الراشدين بدعة الخوارج والشيعة، ثم في آخر عصر الصحابة بدعة المرجئة والقدرية، ثم في آخر عصر التابعين بدعة الجهمية معطلة الصفات.

ويقول: "ومعلوم أن أهل الكتاب أقرب إلى المسلمين من المجوس والصابئين والمشركين، فكان أول ما ظهر من البدع فيه شبه من اليهود والنصارى، والنبوة كلما ظهر نورها انطفت البدع، وهي في أول الأمر كانت أعظم ظهورا، فكان إنما يظهر من البدع ما كان أخف من غيره، كما ظهر في أواخر عصر الخلفاء الراشدين بدعة الخوارج والتشيع، ثم في أواخر عصر الصحابة ظهرت القدرية والمرجئة، ثم بعد انقراض أكابر التابعين ظهرت الجهمية، ثم لما عربت كتب الفرس والروم ظهر التشبه بفارس والروم، وكتب الهند انتقلت بتوسط الفرس إلى المسلمين، وكتب اليونان انتقلت بتوسط الروم. إلى

المسلمين، فظهرت الملاحدة الباطنية الذين ركبوا مذهبهم من قول المجوس واليونان مع ما أظهروه من التشيع.

ومما تقدم يعلم أن بدعة المرجئة ظهرت في أواخر عصر الصحابة، وتأكيدا لذلك يقول شيخ الإسلام: "ثم في أواخر عصر الصحابة حدثت القدرية في آخر عصرابن عمر وابن عباس وجابر وأمثالهم من الصحابة، وحدثت المرجئة قريبا من ذلك، وأما الجهمية فإنما حدثوا في عصر التابعين بعد موت عمر ابن عبدالعزيز.

ويقول: "ثم في آخر عصر الصحابة حدثت القدرية، وتكلم فيها من بقي من الصحابة كابن عمر، وابن عباس، وواثلة بن الأسقع، وغيرهم.

وحدثت أيضا بدعة المرجئة في الإيمان، والآثار عن الصحابة ثابتة بمخالفتهم، وأنهم قالوا الإيمان يزيد وينقص كما ثبت ذلك عن الصحابة.

فبدعة الإرجاء ظهرت في أواخر عصر الصحابة، وقد بين شيخ الإسلام في موضع آخر متى كان عصر أواخر الصحابة، إذ يقول: "فإن الاعتبار في القرون الثلاثة بجمهور أهل القرن، وهم وسطه.

وجمهور الصحابة انقرضوا بانقراض خلافة الخلفاء الأربعة، حتى إنه لم يكن بقي من أهل بدر إلا نفر قليل.

وجمهور التابعين بإحسان انقرضوا في أواخر عصر أصاغر الصحابة في إمارة ابن الزبير وعبدالملك.

وجمهور تابعي التابعين انقرضوا في أواخر الدولة الأموية، وأوائل الدولة العباسية."

فهذا النقل يحدد:

1- زمن جمهور الصحابة: وأنه انتهى بانتهاء خلافة الخلفاء الأربعة - رضي الله عنهم أجميعن - وآخرهم موتا هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وقد استشهد رضي الله عنه سنة أربعين للهجرة.

2- زمن جمهور التابعين: وانقرض في أواخر عصر صغار الصحابة الذي انتهى في إمارة ابن الزبير وعبدالملك بن مروان. وابن الزبير رضي الله عنه قتل سنة 73هـ، وعبدالملك مات سنة 86هـ، فتكون هذه المدة الزمنية هي أواخر عصر صغار الصحابة.

3- جمهور تابعي التابعين: انقرض في أواخر الدولة الأموية، وأوائل الدولة العباسية.

والدولة الأموية انتهت بمقتل آخر خلفائهم مروان الحمار، وهو الزمن الذي قامت فيه الدولة العباسية، وذلك سنة 132هـ.

ويهمنا من هذه الأزمنة عصر صغار الصحابة، فهو الذي ظهرت فيه المرجئة، وقد نص شيخ الإسلام أن المرجئة ظهرت في إماراة عبدالله بن الزبير وعبدالملك بن مروان، إذ يقول: "ثم لما كان في آخر عصر الصحابة، في إمارة ابن الزبير، وعبدالملك: حدثت بدعتا المرجئة، والقدرية.

ونقل في تحديد أدق لوقت ظهور بدعة الإرجاء قول قتادة: "إنما حدث الإرجاء بعد فتنة فرقة ابن الأشعث. "

ومراد قتادة بالفتنة خروج ابن الأشعث ومن ناصره لقتال الحجاج بن يوسف، أمير العراق لعبدالملك بن مروان،

وكانت أحداث تلك الفتنة ما بين سنة 81-83هـ.

فعلى هذا تكون المرجئة ظهرت بعد انقراض كبار الصحابة، وبعد ذهاب جمهور التابعين، فلم يبق حينئذ إلا صغار الصحابة، وتابعي التابعين، وذلك في إمارة ابن الزبير، وعبدالملك بن مروان، ثم حصول فتنة ابن الأشعث.

فإذا جمع ما بين هذه الأوقات أمكن تحديد ظهور بدعة الإرجاء بأنه في أواخر العقد السابع وأوائل العقد الثامن من المائة الأولى للهجرة، **والله** أعلم .([1])

تنبيه: نشأة الإرجاء في العصر الحاضر:

بعدما سقنا نشأة الإرجاء قديماً، يتساءل القارئ، أين دخل الإرجاء في وضع المسلمين الحالي؟ وما هي ظاهرة الإرجاء في السّاحة العلميّة اليوم ؟ فلنحاول الإجابة عن تلكم الأسئلة ومثيلاتها في الكلام الآتي.

إنّ الإرجاء هو دين يحبّه الملوك ويتماشى مع أهوائهم قديماً وحديثاً، والأمّة الإسلامية اليوم في قرونها الأخيرة وتحديداً في أواخر الدّولة العثمانيّة إلى الآن، ابتليت بملوكٍ وسلاطينَ جورٍ، أغرقو الأمةّ في الفسادَ وشرب الخمرِ وشجّعو الإنحطاط والإنحلال الخلقي، ولم تقف آفتهم عند هذا الحدّ بل زادو الطّين بلّةً وصادرو حكم الشّريعة وأحلّو القوانين الوضعية مكانها، واستوردو نُظُم الحكم بل وطُرق الحياة من أوروبا التي كانت تعيش حينها في أوج حضارتها ورفاهيّتها، وهذه كانت في أواخر الدّولة العثمانية وهذا هو السّبب الرئيسيّ الّذي أدّى إلى انهيار الخلافة العثمانيّة – التي كانت رسماً بدون محتوى وعلماً بلا مضمون– لماذا؟ لأنّ الشريعة هي التي تحفظ بقاء هذه الأمة وهي السدّ المنيع أمام حملات الإفساد والحرب التي تمارسُ ضدّها والمانع من الإنهيار والضّامن لنجاحها وذلك ليس ادّعاءاً محضاً بل تاريخ الأمّة يشهد على ذلك وتكرّرت الأمثلة، فانظرو مثلاً أيّام حكم المسلمين للأندلس وكيف كانت مناراً للعلم والحضارة والعلماء وكيف كانت وِجهةَ الدّنيا كلّها، وكيف كانت مثالاً ونموذجاً للحكم النّاجح في العدل وبسط الشورى، والأمثلة زاخرةٌ في التاّريخ، فلم يحدث يوماً تحاكمت الأمةّ إلى الشّريعة وامتثلت قيم الإسلام علماً وعملاً وأصبحت بعد ذلك في ذيل التاّريخ ومؤخرة الرّكب ومثال الفشل ! كما هي عليه الآن عند رميها شرع ربّها في سّلة المهملات، وهذا هو حال كلّ امرىء أصبح عالةً على غيره في القيمِ والهويّة والأخلاق .

([1]) علوي سقّاف، موقع الدرر السنية من المواقع الجيدة المفيدة لطالب العلم والعامي بشكل عام، ويقوم عليه الشيخ الفاضل/ علوي السقاف. dorar.net

وأمام هذا الواقع الأليم والأحداث الصّعبة وجِد من العلماء من يبرّر للسّلاطين فسادهم ويجمّل لهم فِعالهم ويقف في وجه من يطالب الإصلاح وتغيير الوضع القائم، ويباركُ حكم أئمة الجور ويشيطن كلّ من خالف أهواءهم بل وتعدّته الدّناة أن يصبح حامي الحمى للحكّام المبدّلين لشرع الله، فأصبح الحال كما قال الإمام المجاهد الزّاهد عبدالله بن المبارك:

وهل أفسد الدّين إلاّ الملوك   وأحبارُ سوءٍ ورهبانُها

وتلك الأحوال كوّنت البذور الأولى للإرجاء ومهدّت شرعنة الواقع الذّي كان في هذا العهد لنستمرّ في تجرّع مرارة ثمراته الآن.

يقول الشيخ مصطفى عبدالقادر، في كتابه الفذّ " مختصر تاريخ الدّولة العثمانيّة " وهو يتجدثّ عن الأسباب التي أدّت إلى انهيار الدّولة العثمانية :

" دخول التّشريع الوضعي على الشّريعة الإسلاميّة بدعوى التقنين والتنظيم وهبوب رياح التّغريب جرّاء الإعجاب ببهارج الحضارة الغربيّة، وهذا من أهمّ أسباب ضياع المسلمين قديما وحديثاً .

التّرف والبذخ في حياة السّلاطين وقصور الحاشية ورجال الأجهزة الحكوميّة وكبار طبقات المجتمع وهو ثاني أهمّ إنهيار الممالك والدّول.

الظّلم والطّغيان والنّظام الإستبدادي الفرد الفئوي القوميّ، وكثرة المكوس على الرعية وتفشّي نظام الطّبقية والإقطاع وهو ثالث أهمّ اسباب الزّوال والبوار " ([1])

وبعد سنواتِ عديدة من هذه الأحداث، وأعوامٍ كثيرة عاشت الأمّة في الضّياع والذّل والهوان، هبّت رياح العزّ في ثرى أفغانستان بعدما دخل الرّوس فيها، وانتفضت الأمّة الإسلاميّة من المشرق إلى المغرب، وكسرت حواجز القوميّة وأواصر القطيعة التي أورث بينها الأعداء واكتمل النّصر يلوح في الأفق بفضل الله بعد دحر القوات الرّوسيّة الغازيّة في أواخر الثمانينيّات في القرن المنصرم.

([1]) مصطفى عبدالقادر، هو الشّيخ العالم المفكّر مصطفى بن عبد القادر بن مصطفى بن حسين بن أحمد المزَيِّكْ الجاكيري الرفاعي. وتعرف عائلته اليوم "بست مريم، والمعروف ب" أبو مصعب السّوري " صاحب النّظرة الثّاقبة والذهن المتوقّد والمؤلّفات النّافعة منها، دعوة المقاومة العالميّة ومختصر شهادتي على الجهاد في جزائر .

مختصر تاريخ الدّولة العثمانيّة: ص 149

وعلى إثر تلك الأحداث وتجمع العلماء العاملين والقادة المخلصين في أرض خراسان، وبدأت دعاوي حاكمية الشّريعة ودعوة التّوحيد تبدأ من جديد من هناك واختارو أفغانستان لتكون منطلقاً لهذه الصّحوة المباركة.

وما إن شعر طواغيت العرب وكبار ساسة الغرب خطر تلك الدّعوة، دقّو ناقوس الخطر وأبلغو كلابهم ووكلاءهم في الشّرق والغرب إطفاء هذا النّور وإجهاض تلك الدّعوة، وشاء الله أثناء تلك الأحداث، وقوع حادثةٍ كبرى أشعلت العالم الإسلامي وملأته ضجّة وهي غزو العراق للكويت وأجزاءاً من السعوديّة وما لاحق تلك الأحداث من دخول الأمريكان إلى جزيرة المصطفى صلى الله عليه وسلّم ذريعة الردّ على عدوان صدّام وصدّ خطره وتهديده، وبدأ علماء الإسلام الربّانيين في بيان خطر هذه الخطوة وآثارها المدمّرة على الديّن والأمّة.

لكنّ آل سعود – وهم رأس حربة الحرب على الإسلام – ([1]) بدأوو يستخدمون بعض المشايخ في السعوديّة والعلماء التّابعين للدّولة فآزروهم بالفتاوى وشنّو حرباً ضروساً على العلماء وشرعو يبثون الأراجيف والتّخذيل في صفوف أبناء الأمّة، ووجدوو من لباس السّلفية غطاءا وسِتراً ومن عقيدة الإرجاء والتجهّم ملجأً ومخرجاً، فنافحو عن الطّواغيت المبدّلين لأحكام الله الموالين لأعداء الله، وحاربو دعاة التّوحيد وعلماء المسلمين، ووقفو أمام الصّحوة المباركة التي تشهدها الأمّة في دفع العدوّ الصّائل الغاشم على ديار المسلمين والمستبيح لبيضتهم وثروتهم والمحارب لدينها وشرعها، وواقع المسلمين اليوم خير شاهد ودليل على الهوان والذلّ الّذي أورثه هذا المذهب الجافي على الأمّة، والله المستعان وإليه المشتكى !

([1]) ليست هذه العبارة تهمةً باطلة ولا حقيقةً خفيّة ولا كلاما يُقال جزافا، بل هي حقيقةٌ ثابتةٌ تنعكس آثارها السلبيّة على واقع المسلمين اليوم من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار، وليس للقوم همٌ سوى إذلال المسلمين وإضعافهم وإظهار الولاء والتبعيّة للغرب، والوقوف أمام تحرّر المسلمين من الإحتلال الّذي حلّ ببلادهم، كفى الله المسلمين عن شرّهم وقطع دابرهم.

– لقراءة المزيد من التّاريخ الغريب للأسرة، أنظر :

1- لمحة عن المسار السّياسي لآل سعود في الدّولة الثّالثة، وهو بحثٌ شامل مختصر أعده المركز الخطّابي للدّراسات.

2- الموالاة والمعاداة للدّكتور محمّد المسعري (ويتحدّث طرفاً فيه عن عمالة آل سعود).

3- المسلمون وحضارة الغرب للدّكتور سفر الحوالي، وهو كتابٌ مهمٌ جدا لا غنى عنه للمسلم وطالب العلم ليعرف حقيقة الواقع.

المطلب الثّالث: موقف السّلف من الإرجاء:

يتّصفُ علماء السلف بأنهم هم الفئة العالمة التي لا تعبث بأصول العقيدة والدّين، وتعطي التّفسير الصحيح عن الأحداث، والفتن التي مزّقت الأمة إلى تيّارات متعددة، وقد كانت هذه الفرق المخالفة لمنهج السلف هي إحدى نتائج هذه الفتن، وقد أوغلت الضلالة بأرباب هذه الفرق إلى ابتداع أمور مخالفة لما كان عليه الرسول ﷺ، وصحابته الكرام، ومن هذا المنطق، فقد وقف علماء السلف في وجه هؤلاء المبتدعة، وأبطلوا شبهاتهم، وبينوا المعتقد الحق الذي تدين به الأمة المسلمة.

وكلما ظهرت فتنة من الفتن أفرزت في خاتمتها إقرارات بدعية مختلفة، يقول بها من ضعفت عقيدته عن مواجهة الباطل، والثبات على الدين الحق، وهذا ما حدث للخوارج عندما خرجوا على علي رضي الله عنه، ورد عليهم الشيعة، وانتحلوا الأكاذيب التي يرفعون بها الرجال إلى مصاف الألوهية، ويتبرءون من صحابة رسول الله ﷺ، ثم ظهرت القدرية، والتي عجزت عقولهم عن اعتقاد الرسول، والصحابة الكرام في القدر، فراموا فهما، واعتقاداً، أودى بهم إلى إنكار القدر، ثم جاءت المرجئة بعقولهم العاجزة - أيضا - عن فهم أسس العقيدة، وثوابتها أمام الفتن، والأحداث الجسام، فجنحوا إلى فصل الإيمان عن العمل، واتسعت دائرة هذا الابتداع، ليجد فيه أتابع الفرق المنحرفة مخرجاً لانسلاخهم، وبعدهم عن الدّين الحقّ .

وبسبب هذا الواقع الأليم، أنكر علماء السلف على المرجئة مقالتهم الضالة، واعتبروها من البدع الخطيرة، التي تعطي الجهلة، والفسقة، الذريعة لارتكاب المعاصي والمنكرات، وكذلك تعطي للحكّام فرصةً لعدم تحكيم الشّريعة واتّباع أهواءهم ولأهل الكفر عموماً تسنح لهم هذه البدعةُ في ارتكاب شتّى النّواقض والوقوع في المكفّرات ثم التمّسح بمهذب الإرجاء والإنتساب للإسلام زوراً وبهتانا .

واعلم أخي المسلم، أنّ مذهب الإرجاء قديماً كان يعرف بالمعتقد والتّقريرات الخاطئة عن الإيمان والقول بمذهب الإرجاء صراحةً، لكنّ الطّوائف التّي تأثّرت في الإرجاء اليوم تعرف عند أبواب الكفر وتظهر علامات الإرجاء عند كلامهم عن من وقع في المكفّرات القوليّة والفعليّة، وحصر مناطات الكُفر بالجحود والإستحلال القلبيّ، ثم يتبيّن بعدئذٍ أنّهم يعتبرون جنس الأعمال شرطَ كمالٍ لا شرطَ صحّة، ومن شذّ في باب الكفر فإنّه لزاماً يشذّ في باب الإيمان.

ولمذهب السّلف في ردّ عقيدة الإرجاء مسلكان، مسلكُ التّحذير وبيان خطرهم وأثرهم على الدّين، ومسلك التّكفير والتّغليظ بناءاً على بعض معتقداتهم الفاسدة وأقوالهم الشّاذّة.

المسلك الأوّل: التّحذير من فتنة الإرجاء:

1- قال الإمام الأوزاعي: "كان يحيى وقتادة يقولان: ليس من الأهواء شيء اخوف عندهم على الأمة من الإرجاء ([1])، وكان إبراهيم النخعي يقول عنهم: "لفتنتهم عندي أخوف على هذه الأمة من فتنة الأزارقة؛ لفقوا قولاً، فأنا أخافهم على الأمة، والشر من أمرهم كبير؛ فإياك، وإياهم"، وذكر عنده المرجئة، فقال: "والله، إنهم أبغض إلى من أهل الكتاب"، ولعل قول إبراهيم النخعي بأنه أخوف على الأمة منهم من فتنة الأزراقة، كان نابعا من أن الأزارقة قالوا بتكفير مرتكب الكبيرة، فكفروا الناس في الذنوب، فكان الغلو رائدهم، وتساهلت المرجئة في القول بترك العمل، وإنه لا يضر مع الإيمان معصية مهما عظمت، فأباحت للناس فعل الموبقات، فكان غلوهم من هذا الجانب، والأزارقة يحذرون من الكبائر، ويحكمون على أصحابها بذلك التشدد، وهؤلاء يتركون الحبل على الغارب في دعواهم الباطلة، ويطمعون الفساق، ويدعون الناس بمقالتهم لفعل الكبائر، والموبقات.

2- وروى الإمام الطبري عن عمر بن مرة "ت 116"، قال: "نظرت في أمر هؤلاء الخوارج، فإذا شر قوم، ونظرت في أمر هؤلاء الجنشبية "الشيعة"، فإذا شر قوم، ونظرت في أمر هؤلاء المرجئة، فإذا هم أمثل، أو خير، فأنا مرجئ، قال الأعمش: قلت: يا أبا عبدالله: ولم تسمى باسم غير الإسلام؟ قال: أنا كذلك". ([2])

3- وروى الإمام الذهبي عن مُحَمَّد بن حميد، عن معيزة قال: "لم يزل في الناس بقية حتى دخل عمر بن مرة في الإرجاء، فتهافت الناس فيه."([3])

([1]) الأوزاعي، هو الإمام أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو بن يُحْمَد الأَوْزَاعِيُّ يُعَدُّ الإِمِامُ الأوزاعي أحد الفُقَهَاءِ الأعلام، له مؤلّفات نافعة منها كتاب المسند وكتاب السيّر، طبقات ابن سعد الكبرى : 282/6

([2]) عمر بن مرّة، ابن عبد الله بن طارق بن الحارث بن سلمة بن كعب بن وائل بن جمل بن كنانة بن ناجية بن مراد ، الإمام القدوة الحافظ أبو عبد الله المرادي الجملي الكوفي ، أحد الأئمة الأعلام تهذيب الآثار : 184/2

([3]) سير أعلام النبلاء : 198/5

4- ويعيب الإمام ابن أبي مليكة مقالة المرجئة الغلاة؛ فيقول: "وقد أتى على برهة من الدهر، وما أراني أدرك رجلاً يقول: أنا مؤمن، فما رضي بذلك حتى قال على إيمان جبريل، وميكائيل، وما كان محمّد ﷺ يقول بذلك، وما زال الشيطان يتعلب بهم حتى قالوا: مؤمن، وإن نكح أمه، وأخته، وابنته؛ والله، ولقد أدركت من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رجالاً، ما مات أحد إلا وهو يخشى النفاق"([1])

5- وقال الإمام ابن مجاهد: كنت عند عطاء بن أبي رباح، فجاء ابنه يعقوب، فقال: "يا أبتاه، إن أصحابا لنا يزعمون أن إيمانهم كإيمان جبريل، فقال: يا بني، ليس إيمان من أطاع الله كإيمان من عصى الله" ([2])

6- وعن سويد بن سعيد الهروي، قال: "سألنا سفيان بن عينية عن الإرجاء، فقال: يقولون: الإيمان قول، ونحن نقول: الإيمان قول، وعمل، والمرجئة أوجبوا الجنة لم شهد أن لا إله إلا الله "مصراً بقلبه على ترك الفرائض"، وسموا ترك الفرائض ذنباً بمنزلة ركوب المحارم، وليس بسواء؛ لأن ركوب المحارم من غير استحلال معصية، وترك الفرائض متعمداً من غير جهل، ولا عذر، هو كفر؛ وبيان ذلك من أمر آدم - صلوات الله عليه -، وإبليس، وعلماء اليهود؛ أما آدم، فنهاه الله - عز وجل - عن أكل الشجرة، وحرمها عليه، فأكل منها متعمداً؛ ليكون ملكاً، أو يكون من الخالدين؛ فسمي عاصياً من غير كفر، وأما إبليس - لعنه الله -، فغنه فرض عليه سجدة واحدة، فجحدها متعمداً؛ فسمي كافراً، وأما علماء اليهود فعرفوا نعت النبي ﷺ، وأنه نبي رسول، كما يعرفون أبناءهم، وأقروا به باللسان، ولم يتبعوا شريعته؛ فسماهم الله - عز وجل - كفارا، فركوب المحارم مثل ذنب آدم - عليه السلام -، وغيره من الأنبياء، وأما ترك الفرائض جحوداً، فهو كفر؛ مثل كفر إبليس - لعنه الله -، وتركهم على معرفة من غير جحود جحود، فهو كفر مثل كفر علماء اليهود" ([3])

([1]) ابن ابي مليكة، الإمام الحجة الحافظ أبو بكر وأبو محمّد عبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة، وكان عالما مفتيا صاحب حديث وإتقان ، معدود في طبقة عطاء ، وقد ولي القضاء لابن الزبير ، والأذان أيضا . اللالكائي : 955/5

([2]) الإمام المقرئ المحدث النحوي ، شيخ المقرئين أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد البغدادي ، مصنف كتاب " السبعة " السنّة لعبدالله بن أحمد: 345/1

([3]) الإمام المحدث الصدوق ، شيخ المحدثين ، أبو محمّد الهروي ثم الحدثاني الأنباري ، نزيل حديثة النورة بليدة تحت عانة ، وفوق الأنبار ، رحال جوال ، صاحب حديث وعناية بهذا الشأن . المصدر السّابق: 347/1

7- فقد روى ابن بطة، أن ذر بن عبدالله "وهو مرجئى" شكا سعيد بن جبير إلى أبي البحتري الطائي، فقال: "مررت، فسلمت عليهن فلم يرد علي، فقال أبو البحتري لسعيد بن جبير، فقال سعيد: إن هذا يجدد في كل يوم ديناً، لا، ولا كلمته أبدا"([1])

8- وقال أيوب السختياني: قال لي سعيد بن جبير: "لا تجالس طلقاً "أي طلق بن حبيب، وكان مرجئيا، وقال مرة أخرى: رآني سعيد بن جبير جلست إلى طلق بن حبيب، فقال: ألم أرك جلست إليه؟ لا تجالسه، قال: وكان ينتحل الإرجاء" ([2]).

9- وكان سفيان الثوري يقول: "ما كنا نأتي حماد بن أبي سليمان "ت 120هـ" إلا سرا من أصحابنا، كانوا يقولون: أتأتيه؟ أتجالسه؟ فما كنا نأتيه إلا سرا" ([3]).

10- وكان الأعمش لا يسمح بجلوسهم في حلقة الحديث التي كان يعقدها، وكان يأمر بإخراجهم من المسجد"([4])

11- وعندما مات عمر بن ذر، وكان رأسا في الإرجاء، لم يشهد جنازته سفيان الثوري، ولا الحسن بن صالح، وكذلك عندما توفي عبدالعزيز بن أبي رواد، فجيء بجنازته، فوضعت عند باب الصفا، واصطف الناس، وجاء سفيان الثوري، فقال الناس: جاء الثوري جاء الثوري، فجاء حتى خرق الصفوف، والناس ينظرون إليه، فجاوز الجنازة، ولم يصل عليها؛ وذلك لأنه كان يرى الإرجاء ، وسئل عن ذلك، فقال: "والله، إني لأرى الصلاة على من هو دونه عندي، ولكني أردت أن أرى الناس أنه مات على بدعة"([5])

([1])ابن بطّة، الإمام القدوة ، العابد الفقيه المحدث ، شيخ العراق أبو عبد الله ، عبيد الله بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن حمدان العكبري الحنبلي ، ابن بطة ، مصنف كتاب " الإبانة الكبرى " . ابن بطّة : الإبانة الكبرى 774/2

([2])أيوب السختياني، الإمام الحافظ ، سيد العلماء أبو بكر بن أبي تميمة كيسان ، العنزي ، مولاهم ، البصري ، الأدمي ويقال : ولاؤه لطهية ، وقيل : لجهينة . عداده في صغار التابعين. الذهبي:سير أعلام النبلاء 601/4

([3]) **سفيان الثّوري**، هو شيخ الإسلام ، إمام الحفاظ ، سيد العلماء العاملين في زمانه ، أبو عبد الله الثوري الكوفي المجتهد ، مصنف كتاب " الجامع " . البسوي: المعرفة والتاريخ 791/2

([4]) الأعمش، سليمان بن مهران ، الإمام شيخ الإسلام ، شيخ المقرئين والمحدثين أبو مُحَمَّد الأسدي الكاهلي ، مولاهم الكوفي الحافظ . أصله من نواحي الري . البسوي: المعرفة والتاريخ 764/2

([5]) العقيلي: الضعفاء الكبير 6/3

12- فقد روى عبدالله بن أحمد أن سعيد بن جبير كان يقول عن المرجئة: "إنهم يهود القبلة، وكان قول – أيضاً –: "مثل المرجئة مثل الصابئين، ويفسر ذلك فيقول: "مثلهم مثل الصائبين، إنهم أتوا اليهود، فقالوا: ما دينكم؟ قالوا: اليهودية، قالوا: فما كتابكم؟ قالوا: التوراة، قالوا: فمن نبيكم؟ قالوا: موسى، قالوا: فماذا لمن تبعكم؟ قالوا: الجنة، ثم أتوا النصارى، فقالوا: ما دينكم؟ قالوا: النصرانية، قالوا: فما كتابكم؟ قالوا: الإنجيل، قالوا: فمن نبيكم؟ قالوا: عيسى، ثم قالوا: فماذا لمن تبعكم؟ قالوا: الجنة، قالوا: فنحن بد ندين" ([1])

13- وجاء رجل إلى ميمون بن مهران يخاصمه في الإرجاء، فبينما هما على ذلك إذ سمعا امرأة تغني، فقال ميمون: أين إيمان هذه من إيمان مريم بنت عمران؟ فانصرف الرجل، ولم يرد عليه". ([2])

المسلك الثّاني: تكفير من ذهب على مذهب الإرجاء:

1- فقد روى اللالكائي، وابن بطة، والطبري، عن معقل بن عبيدالله العبسي "ت 116"، قال: قدم علينا سالم الأفطس بالإرجاء، فنفر منه أصحابنا نفاراً شديداً؛ منهم ميمون بن مهران "ت 119"، وعبدالكريم بن مالك، فأما عبدالكريم بن مالك، فإنه عاهد الله أن لا يأويه وإياه سقف بيت إلا المسجد، قال معقل: فحججت، فدخلت على عطاء بن أبي رباح "ت: 124" في نفر من أصحابي، وغذا هو يقرأ سورة يوسف، وقال: قلت له: إن لنا حاجة، فأدخلنا، ففعل، فأخبرته أن قوما قبلنا قد أحدثوا، وتكلموا، وقالوا: إن الصلاة، والزكاة ليستا من الدين، فقال: أوليس الله – عز وجل – يقول : ﴿ **وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ** ﴾ السّورة: البيّنة الآية/ 5) ، قال: وقتل إنهم يقولون: ليس في الإيمان زيادة، قال: أوليس قد قال الله فيما أنزل: ﴿ **لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ** ﴾ **السّورة :الفتح:الآية/ 4**).

هذا الإيمان الذي زادهم، قال: فقلت: إنهم انتحلوك، وبلغني أن ابن درهم دخل عليك في أصحابه، فعرضوا عليك قولهم، فقبلته، فقلت هذا الأمر، فقال: لا، والله الذي لا إله إلا هو "مرتين، أو ثلاثاً"، قال: ثم قال: قدمت المدينة، فجلس إلى نافع مولى ابن عمر "ت 119"، فقلت: يا أبا عبدالله، إن لي إليك حاجة، قال: سر، أم علانية؟ فقلت:

([1]) السنة لابن احمد: 324/1

([2]) الذهبي، سير أعلام النبلاء: 73/5

لا، بل سر ، قال: دعني من السر، سر لا خير فيه، فقلت: ليس من ذلك، فلما صلى العصر، فذكرت له قولهم، فقال: قال رسول الله ﷺ ((أمرت أن أضربهم بالسيف حتى يقولوا لا إله إلا الله، فإذا قالوا: لا إله إلا الله، عصموا مني دماءهم، وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله))، قال: قلت: إنهم يقولون: نحن نقر بالصلاة، فريضة، ولا نصلي، وأن الخمر حرام، ونحن نشربها، وأن نكاح الأمهات حرام، ونحن نريده، فنتر يده من يدي، وقال: من فعل هذا فهو كافر" ([1])

2- ونقل شيخ الإسلام ابن تيمية عن الإمام أحمد، ووكيع، تكفير غلاة المرجئة؛ فقال: "وأما جهم، فكان يقول: إن الإيمان مجرد تصديق القلب، وإن لم يتكلم به، وهذا القول لا يعرف عن أحد من علماء الأمة، وأئمتها؛ بل أحمد، ووكيع، وغيرهما، كفروا من قال بهذا القول". ([2])

3- وروى الخلال عن عبيدالله بن حنبل قال الحميدي "عبداللهبن الزبير بن عيسى": وأخبرت أن قوما يقولون: إن من أقر بالصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، ولم يفعل من ذلك شيئاً، حتى يموت، أو يصلي مسند ظهره، مستدبر القبلة، حتى يموت، فهو مؤمن، ما لم يكن جاحداً، إذا علم أن تركه ذلك في إيمانه، إذا كان يقر الفروض، واستقبال القبلة، فقلت: هذا الكفر بالله الصراح، وخلاف كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، وفعل المسلمين قال الله - عز وجل: [-**حُنَفَاء وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ**] البينة: 5، قال حنبل: "قال أبو عبدالله، وسمعته يقول: من قال هذا فقد كفر بالله، ورد على الله أمره، وعلى الرسول ما جاء به" ([3]).

4- وقال الإمام الآجرّي : من قال: الإيمان قولٌ دون العمل يقال له: رددت القرآن والسّنة وما عليه جميع علماء المسلمين وخرجت من قول المسلمين وكفرت بالله العظيم " ([4]).

([1]) ابن احمد السنة: ص382/1

([2]) مجموع الفتاوى : 47/13

([3]) الخلال ، الإمام العلامة الحافظ الفقيه ، شيخ الحنابلة وعالمهم أبو بكر ، أحمد بن مُحَمَّد بن هارون بن يزيد البغدادي الخلال. السنة للخلال : ص 586

([4]) لإمام المحدث القدوة شيخ الحرم الشريف أبو بكر مُحَمَّد بن الحسين بن عبد الله البغدادي الآجري صاحب التواليف ، منها : كتاب " الشريعة في السنة " . الشريعة للآجرّي : 684/2

وهذا الكلام هو مجمل ما قال عنه الأئمة الأعلام عن مذهب الإرجاء قديما، فلنحاول الآن سوق ما قاله العلماء المعاصرون عن ما فشى بين المسلمين اليوم من مذهب الإرجاء .

1- فتوى اللّجنة الدّائمة للإفتاء عن تحذير مذهب الإرجاء، وإليك نص الفتوى :

" الحمد لله والصلاة والسلام على من لا نبي بعده...

وبعد:

فقد أطلعت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء على ما ورد إلى سماحة المفتي العام من عدد من المستفتين، المقيدة استفتاآتهم بالأمانة العامة لهيئة كبار العلماء، برقم (5411) وتاريخ (1420/11/7هـ) . ورقم (1026) وتاريخ (1421/2/17هـ) . ورقم (1016) وتاريخ (1421/2/7هـ) . ورقم (1395) وتاريخ (1421/3/8هـ) . ورقم (1650) وتاريخ (1421/3/17هـ) . ورقم (1893) وتاريخ (1421/3/25هـ) . ورقم (2106) وتاريخ (1421/4/7هـ) . وقد سأل المستفتون أسئلة كثيرة مضمونها:

"ظهرت في الآونة الأخيرة فكرة الإرجاء بشكل مخيف، وانبرى لترويجها عدد كثير من الكتاب، يعتمدون على نقولات مبتورة من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية؛ مما سبب ارتباكاً عند كثير من الناس في مسمى الإيمان، حيث يحاول هؤلاء الذين ينشرون هذه الفكرة أن يخرجوا العمل عن مسمى الإيمان، ويرون نجاة من ترك جميع الأعمال، وذلك مما يسهل على الناس الوقوع في المنكرات وأمور الشرك وأمور الردة، إذا علموا أن الإيمان متحقق لهم، ولو لم يؤدوا الواجبات ويتجنبوا المحرمات ولو لم يعملوا بشراع الدين بناء على هذا المذهب.

ولا شك أن هذا المذهب له خطورته على المجتمعات الإسلامية وأمور العقيدة والعبادة، فالرجاء من سماحتكم بيان حقيقة هذا المذهب، وآثاره السيئة، وبيان الحق المبني على الكتاب والسنة، وتحقيق النقل عن شيخ الإسلام، حتى يكون المسلم على بصيرة من دينه، وفقكم الله وشدد خطاكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته."

وبعد دراسة اللجنة للاستفتاء أجابت بما يلي:

هذه المقالة المذكورة هي: مقالة المرجئة الذين يخرجون الأعمال عن مسمى الإيمان، ويقولون: الإيمان هو التصديق بالقلب، أو التصديق بالقلب والنطق باللسان فقط، وأما الأعمال فإنها عندهم شرط كمال فيه فقط وليست منه، فمن صدق بقلبه، ونطق بلسانه؛ فهو مؤمن كامل الإيمان عندهم، ولو فعل ما فعل من ترك الواجبات وفعل المحرمات، ويستحق دخول الجنة ولو لم يعمل خيراً قط، ولزم على ذلك الضلال لوازم باطلة؛ منها: حصر الكفر بكفر التكذيب والاستحلال القلبي، ولا شك أن هذا قول باطل وضلال مبين، مخالف للكتاب والسنة، وما عليه أهل السنة والجماعة

سلفا وخلفاً، وأن هذا يفتح بابا لأهل الشر والفساد، للانحلال من الدين، وعدم التقيد بالأوامر والنواهي، والخوف والخشية من الله سبحانه.

ويعطل جانب الجهاد في سبيل الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويسوي بين الصالح والطالح، والمطيع والعاصي، والمستقيم على دين الله، والفاسق المتحلل من أوامر الدين ونواهيه، ما دام أن أعمالهم هذه لا تخل بالإيمان كما يقولون.

ولذلك اهتم أئمة الإسلام – قديما وحديثاً – ببيان بطلان هذا المذهب، والرد على أصحابه، وجعلوا لهذه المسألة بابا خاصا في كتب العقائد، بل ألفوا فيها مؤلفات مستقلة، كما فعل شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – وغيره.

قال شيخ الإسلام – رحمه الله – في "العقيدة الواسطية": "ومن أصول أهل السنة والجماعة: أن الدين والإيمان قول وعمل. قول القلب واللسان، وعمل القلب واللسان والجوارح، وأن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية."

وقال في "كتاب الإيمان": "ومن هذا الباب أقوال السلف وأئمة السنة في تفسير الإيمان، فتارة يقولون: هو قول وعمل، وتارة يقولون: هو قول وعمل ونية، وتارة يقولون: قول وعمل ونية وأتباع السنة، وتارة يقولون: قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح، وكل هذا صحيح."

وقال – رحمه الله –: "والسلف اشتد نكيرهم على المرجئة لما أخرجوا العمل من الإيمان، ولا ريب أن قولهم بتساوي إيمان الناس من أفحش الخطأ، بل لا يتساوى الناس في التصديق ولا في الحب ولا في الخشية ولا في العلم، بل يتفاضلون من وجوه كثيرة.

وقال – رحمه الله –: "وقد عدلت المرجئة في هذا الأصل عن بيان الكتاب والسنة وأقوال الصحابة والتابعين لهم بإحسان، واعتمدوا على رأيهم وعلى ما تأولوه بفهمهم للغة، وهذه طريقة أهل البدع". انتهى.

ومن الأدلة على أن الأعمال داخلة في حقيقة الإيمان، وعلى زيادته ونقصانه بها، قوله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ** ﴾ **السّورة: الأنفال:الآية 2–4/** وقوله تعالى: ﴿ **قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاء ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ** ﴾ **السّورة المؤمنون:الآية 1**)، وقول الرسول ﷺ: "الإيمان بضع وسبعون شعبة. أعلاها قول: لا إله إلا الله. وأدناها إماطة الأذى عن الطريق. والحياء شعبة من الإيمان."

قال شيخ الإسلام - رحمه الله - في "كتاب الإيمان" أيضاً: "وأصل الإيمان في القلب، وهو قول القلب وعمله. وهو إقرار بالتصديق والحب والانقياد. وما كان في القلب فلابد أن يظهر موجبه ومقتضاه على الجوارح. وإذا لم يعمل بموجبه ومقتضاه دل على عدمه أو ضعفه. ولهذا كانت الأعمال الظاهرة من موجب إيمان القلب ومقتضاه، وهي تصديق لما في القلب، ودليل عليه وشاهد له، وهي شعبة من الإيمان المطلق وبعض له."

وقال أيضا: "بل كل من تأمل ما تقوله الخوارج والمرجئة في معنى الإيمان، علم بالاضطرار أنه مخالف للرسول، ويعلم بالاضطرار أن طاعة الله ورسوله من تمام الإيمان، وأنه لم يكن يجعل كل من أذنب ذنباً كافراً. ويعلم أنه لو قدر أن قوماً قالوا للنبي ﷺ: نحن نؤمن بما جئتنا به بقلوبنا من غير شك، ونقر بألسنتنا بالشهادتين. إلا أنا لا نطيعك في شيء مما أمرت ونهيت عنه؛ فلا نصلي ولا نصوم ولا نحج ولا نصدق الحديث، ولا نؤدي الأمانة ولا نفي بالعهد ولا نصل الرحم ولا نفعل شيئاً من الخير الذي أمتر به. ونشرب الخمر، وننكح ذوات المحارم بالزنا الظاهر، ونقتل من قدرنا عليه من أصحابك وأمتك ونأخذ أموالهم، بل نقتلك أيضاً ونقاتلك مع أعدائك. هل كان يتوهم عاقل أن النبي ﷺ يقول لهم: أنتم مؤمنون كاملوا الإيمان، وأنتم أهل لشفاعتي يوم القيامة، ويرجى لكم أن لا يدخل أ؛د منكم النار. بل كل مسلم يعلم بالاضطرار أنه يقول لهم: أنتم أكفر الناس بما جئت به، ويضرب رقابهم إن لم يتوبوا من ذلك" انتهى.

وقال أيضاً: "فلفظ الإيمان إذا أطلق في القرآن والسنة يراد به ما يراد بلفظ البر وبلفظ التقوى وبلفظ الدين كما تقدم. فإن النبي ﷺ بين أن الإيمان بضع وسبعون شعبة، أفضلها قول: لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطرق، فكان كل ما يحبه الله يدخل في اسم الإيمان. وكذلك لفظ البر يدخل فيه جميع ذلك إذا أطلق، وكذلك لفظ التقوى، وكذلك الدين أو دين الإسلام. وكذلك روي أنهم سألوا عن الإيمان؛ فأنزل الله هذه الآية: ﴿ **لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ** ﴾ **السّورة :البقرة: الآية/ 177)** ، إلى أن قال: "والمقصود هنا أنه لم يثبت المدح إلا على إيمان العمل. لا على إيمان خال عن عمل" فهذا كلام شيخ الإسلام في الإيمان. ومن نقل عنه غير ذلك فهو كاذب عليه.

وأما ما جاء في الحديث: أن قوما يدخلون الجنة لم يعملوا خيرا قط؛ فليس هو عاما لكل من ترك العمل وهو يقدر عليه، وإنما هو خاص بأولئك لعذر منعهم من العمل، أو لغير ذلك من المعاني التي تلائم النصوص المحكمة، وما أجمع عليه السلف الصالح في هذا الباب.

هذا؛ واللجنة الدائمة إذ تبين ذلك، فإنها تنهى وتحذر من الجدال في أصول العقيدة؛ لما يترتب على ذلك من المحاذير العظيمة، وتوصي بالرجوع في ذلك إلى كتب السلف الصالح وأئمة الدين، المبنية على الكتاب والسنة وأقوال السلف، وتحذر من الرجوع إلى الكتب المخالفة لذلك، وإلى الكتب الحديثة الصادرة عن أناس متعالمين، لم يأخذوا العلم عن أهله ومصادره الأصيلة.

وقد اقتحموا القول في هذا الأصل العظيم من أصول الاعتقاد، وتبنوا مذهب المرجئة، ونسبوه ظلماً إلى أهل السنة

والجماعة، ولبسوا بذلك على الناس، وعززوه - عدواناً - بالنقل عن شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - وغيره من أئمة السلف بالنقول المبتورة بالنقول المبتورة، وبمتشابه القول، وعدم رده إلى المحكم من كلامهم. وإنا ننصحهم أن يتقوا الله في أنفسهم، وأن يثوبوا إلى رشدهم ولا يصدعوا الصف بهذا المذهب الضال، واللجنة - أيضاً - تحذر المسلمين من الاغترار والوقوع في شراك المخالفين لما عليه جماعة المسلمين: أهل السنة والجماعة. وفق الله الجميع للعلم النافع والعمل الصالح والفقه في الدين.

وصلى الله وسلم على نبينا مُحَمَّد وآله وصحبه أجمعين.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

عضو/ عبدالله بن عبدالرحمن الغديان

عضو/ بكر بن عبدالله أبو زيد

عضو/ صالح بن فوزان الفوزان

الرئيس/ عبدالعزيز بن عبدالله بن مُحَمَّد آل الشيخ

فتوى رقم "21436" وتاريخ 1421/4/8هـ " ([1])

2- يقول الشّيخ أبي حفص سفيان عزلي في مقدّمة رسالته القيّمة " رسالة في الكفر والإيمان " :

" ظهر في هذه الأزمان إنتشار غريب لمذهب الإرجاء تحت مظلّة الدعوة السلفية و أوّل ما بدأت به هذه الدعوة زحفها التفريق بين الأحبّة بإسم الجرح و التعديل و الضابط في هذا الفن عندهم هو الحفاظ على كراسي حكّامهم ، فكلّ من كشف حقيقة هذه الحكومات و حقيقة ما يحكمون به الأمّة يُتّهم في دينه و يُحذّر منه ، حتّى سرى هذا المذهب بهذه الذريعة ذاتها إلى تحريف مسائل الردّة و التكفير ، بل دلّس بعضهم و لبّس على الأمّة لما جعل مسألة التكفير و الّتي هي حكم من أحكام شريعة الله تعالى من المسائل الفكرية الخاضعة للردّ و القبول ، هذا الخلط و الخبط بهذا الحكم الشرعي جعلهم يتخبّطون نفس التخبط في مسائل الإيمان ، فمرّة يوافقون مرجئة الفقهاء ، و مرّة مع الأشاعرة ، و مرّة جهمية في مسائل الإيمان. عن عطاء بن السائب قال: ذكر سعيد بن جبير المرجئة فضرب لهم مثلا قال:مثلهم مثل الصابئين، إنّهم أتوا اليهود فقالوا: ما دينكم؟ قالوا: اليهودية، قالوا فما كتابكم؟ قالوا: التوراة، قالوا فمن نبيّكم قالوا: موسى، قالوا فماذا لمن تبعكم؟ قالوا :الجنة ، ثمّ أتوا النصارى فقالوا: ما دينكم؟ قالوا: النصرانية، قالوا فما كتابكم؟ قالوا: الإنجيل، قالوا فمن نبيّكم قالوا: عيسى، ثمّ قالوا فماذا لمن تبعكم؟ قالوا :الجنة، قالوا – أي بعدما سمعوا جواب الطائفتين -: فنحن بين دينين والغريب لما يجد هذا المنهج العفن صدى عند بعض الناس.

([1]) التّحذير من الإرجاء : ص 7

لكن لعلّ هذه الغرابة تقلّ لما نعلم الجهود المبذولة من داخل بلداننا و من خارجها لنشر هذه العقيدة العفنة بإسم الوسطية و الإعتدال في طرح القضايا ، حيث رأوا أنّ من أفضل الفلسفات و الأفكار الّتي تخدمهم في هذه المرحلة و خاصّة عند معاملتهم مع أهل السنّة في بعض المناطق من هذا العالم هو فكر و فلسفة الإرجاء فاختاروه من بين الأفكار الأخرى و روّجوه بين الأنام و أحسنوا في إختيار لباس هذا الفكر إذ جعلوه تحت قميص الدعوة السلفية ، و ليعلم الجميع أنّ هذا الفكر أو هذا الدّين أقصد الإرجاء ، لم يأت من فراغ ، و لا يُنفق عليه من أجل لا شيء ، فالمنفق لا يعرف الصدقات و لا عنده الإعطاء في سبيل الله أبدا ، هذه الظاهرة جاءت لتخدم مصالح بعض الأطراف في هذه المرحلة الّتي تتّسم بإحتلال أراضي المسلمين و إستغلال ثرواتها و تدنيس أراضيها ، كما تتّسم هذه المرحلة بهيمنة القطب الواحد الّتي يطلق عليه العولمة ، و أخطرها عولمة الثقافة الّذي هو وسيلة إنسلاخ شباب الإسلام عن دينه ، كما تتّسم هذه المرحلة بترسيخ القوانين العلمانية لتحكيم الشعوب الإسلامية .

فما السكوت على الحكام المبدّلين لشريعة الله إلاّ ببركة هذا المنهج ، و ما إسباغ الشرعية على هذه القوانين الوضعية و حكامها إلاّ ببركة هذا المنهج ، و ما الإستخفاف بالجهاد في سبيل الله لدحض الغزاة إلاّ ببركة هذا المنهج ، و ما السكوت على الإنتهاكات ضدّ المسلمين المسجونين سواء في سجون الطواغيت أو سجون المعتدين المحاربين إلاّ ببركة هذا المنهج ، و ما السكوت على غزو أراضي الإسلام و إنتهاك حرمات أهله إلاّ ببركة هذا المنهج ".([1])

3- الشّسخ عاصم البرقاوي ابو محمّد المقدسي، في كتابه تبصير العقلاء بتلبيسات أهل التجّهم والإرجاء :

" من عرف هذا، واطّلع عليه؛ عَلِمَ أنَّه من الظلم الواضح بعد هذا كلّه، أنْ نلصقهم بالمرجئة الأوائل أو نساويهم بهم ونجعلهم مثلهم، خاصة إذا علمنا أنَّ تخليط المرجئة الأوائل خصوصاً منهم (مرجئة الفقهاء) كان في الأسماء، ولم يرتّبوا على ذلك تفريطا في الأعمال، بل كانت مخالفتهم لأهل السُنّة في باب الألفاظ والأسماء، أي التعريفات فقط، ولم يُرتبوا على ذلك ترك الأركان أو الأعمال، أو الترقيع للمرتدين والكفّار، ولا هم سوّغوا بإرجائهم تولّي الكفّار ونصرتهم..!!

ولذلك لم يُكفّرهم السلف!!

قال شيخ الإسلام: (وأمّا المرجئة فلا تختلف نصوصه . أي الإمام أحمد . أنَّه لا يُكفّرهم، فإنَّ بدعتهم من جنس اختلاف الفقهاء في الفروع، وكثير من كلامهم يعود النزاع فيه إلى نزاع في الألفاظ والأسماء ولهذا يُسمّي الكلام في مسائلهم (باب الأسماء)، وهذا من نزاع الفقهاء لكن يتعلق بأصل الدين فكان المنازع فيه مبتدعاً) انتهى.

([1])أبو حفص سفيان عزلي، هو الشّيخ العالم الجزائري له مجموعة من الرسائل والكتب المفيدة. رسالةٌ في الإيمان والكفر ص: 1-2

فإذا كانت بدعة هؤلاء المتأخرين تتوقف عند مسمّى الإيمان والكفر، أي في الألفاظ والأسماء.. فيجوز لنا أنْ نُشبههم بالمرجئة الأوائل.. ونبدّعهم ونضللهم، لأنَّ كلامهم كما قال شيخ الإسلام في أصل الدين، ولا نُكفّرهم ما لم يُرتبوا على إرجائهم هذا تولّي الطاغوت ونصرته وبيعته أو نصرة تشريعه أو مشاركته في التشريع أو نحوه من أسباب التكفير الظاهرة.

والمتأمّل في أحوال المرجئة الأوائل يتيقن من صحة كلام شيخ الإسلام هذا، فإنَّ فصلهم العمل عن الإيمان إنّما كان في التعريف فقط..

فالمتتبّع لتراجمهم يعجب عندما يرى أنَّ من كبار رؤوس المرجئة ودعاتهم من اشتهر بالعبادة والزهد والعمل.. بل وإنكار المنكر... ونحوه.

– فهذا مُحَّد بن كرام السجستاني الذي تُنسب إليه المرجئة الكرامية، وكان يقول الإيمان قول بلا عمل.. يصفه أهل التاريخ بقولهم: (أبو عبد الله السجستاني العابد).

– وهذا سالم بن سالم أبو بحر البلخي، يقول ابن كثير عنه: (كان داعية للإرجاء.. إلاّ أنَّه كان رأساً في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكان عابداً زاهداً مكث أربعين سنة لم يفرش له فراش، وصامها كلها إلاّ يومي العيد، قدم بغداد فأنكر على الرشيد وشنّع عليه فحبسه وقيّده باثني عشر قيداً، فلم يزل أبو معاوية يشفع فيه حتى جعلوه في أربعة قيود...) انتهى.

– وأبو معاوية الذي شفع فيه هو أبو معاوية الضرير مُحَّد بن خازم بن بزيع، كان أيضاً من دعاة الإرجاء وقد كان عابداً.

– وكذا قيس بن مسلم العدواني كان مرجئا عابدا، قال سفيان: كانوا يقولون؛ ما رفع قيس بن مسلم رأسه إلى السماء مذ كذا وكذا تعظيما لله.

– وكذا عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي رَوَّاد كان رأساً في الإرجاء داعية.. حتى إن عبد الرزاق قال لما جاءه نبأ موته: الحمد لله الذي أراح أمة مُحَّد من عبد المجيد. وقال أحمد: كان فيه غلو في الإرجاء، يقول هؤلاء الشكاك، يريد قول العلماء: أنا مؤمن إن شاء الله.

ومع هذا قال فيه يحيى بن معين: كان صدوقا ما كان يرفع رأسه إلى السماء، وكانوا يعظمونه. وقال عبد الله بن أيوب المخرمي: لو رأيت عبد المجيد، لرأيت رجلا جليلا من عبادته.

وقال هارون الحمّال: ما رأيت أخشع لله من وكيع، وكان عبدُ المجيد أخشعَ منه.

قال الذهبي في السير (436/9): (خشوعُ وكيعٍ مع إمامته في السّنة جعله مقدما، بخلاف خشوع هذا المرجىء ـ عفا الله عنه ـ أعاذنا الله وإياكم من مخالفة السنة).

– وكذا عمر بن ذر بن عبد الله الهمداني، أحد رؤوس المرجئة، قال عنه الإمام أحمد: (هو أول من تكلم في الإرجاء) ومع هذا كان من العباد الذين يستشهد بمقالاتهم للحث على التهجد ومكابدة الليل.. ومن ذلك قوله: (لما رأى العابدون الليل قد هجم عليهم ونظروا إلى أهل الغفلة قد سكنوا إلى فراشهم.. قاموا إلى الله فرحين مستبشرين بما قد وهب لهم من حسن عبادة السهر وطول التهجد، فاستقبلوا الليل بأبدانهم وباشروا ظلماته بصفاح وجوههم، فانقضى عنهم الليل وما انقضت لذاتهم من التلاوة ولا ملت أبدانهم من طول العبادة، فأصبح الفريقان وقد ولى عنهم الليل بربح وغبن، وشتان بين الفريقين، فاعملوا لأنفسكم رحمكم الله في هذا الليل وسواده، فإن المغبون من غُبن خير الليل والنهار، والمحروم من حرم خيرهما، وإنما جعلا سبيلا للمؤمنين إلى طاعة ربهم، ووبالا على الآخرين للغفلة عن أنفسهم، فأحيوا لله أنفسكم بذكره فإنما تحيا القلوب بذكر الله) أهـ.

والأمثلة كثير، وقد كان يمرّ علّي في كتب التراجم منها الكثير، وبإمكان طالب الحق أنْ يرجع إلى كتب الرجالويتتبع تراجم المرجئة ليعلم أنّ بداية أمر الإرجاء إنّما كان في الألفاظ والأسماء والتعريفات، لكنّه صار بعد ذلك مدعاة إلى التهاون بالعمل، وذريعة إلى ظهور الفسق والتفريط بالطاعات..

كما قال شيخ الإسلام: (ولهذا دخل في إرجاء الفقهاء جماعة هم عند الأئمّة، أهل علم ودين، ولهذا لم يُكفّر أحد من السلف أحداً من مرجئة الفقهاء، بل جعلوا هذا من بدع الأقوال والأفعال لا من بدع العقائد. فإنَّ كثيراً من النزاع لفظي، لكن اللفظ المطابق للكتاب والسُنّة هو الصواب، فليس لأحد أنْ يقول بخلاف قول الله ورسوله، لا سيما وقد صار ذلك ذريعة إلى بدع أهل الكلام من أهل الإرجاء وغيرهم وإلى ظهور الفسق، فصار ذلك الخطأ اليسير في اللفظ، سبباً لخطأ عظيم في العقائد والأعمال، فلهذا عظم القول في ذم الإرجاء، حتى قال إبراهيم النخعي: (لفتنتهم ـ أي المرجئة ـ أخوف على هذه الأمة من فتنة الأزارقة).

وقال الزهري: (ما ابتدعت في الإسلام بدعة أضرّ على أهله من الإرجاء).

وقال الأوزاعي: كان يحيى بن أبي كثير وقَتادة يقولان: (ليس شيء من الأهواء أخوف عندهم على هذه الأمة من الإرجاء).

وقال شريك القاضي: وذكر المرجئة فقال: (هم أخبث قوم حسبك بالرافضة خبثاً، ولكن المرجئة يكذبون على الله).

وقال سفيان الثوري: (تركتْ المرجئة الإسلام أَرَقّ من ثوب سابري)

وقال الذهبي وهو يتكلم عن آثار عقيدة المرجئة: (جسَّروا كل فاسقٍ وقاطع طريق على الموبقات، نعوذ بالله من الخذلان.) أهـ. سير أعلام النبلاء (436/9).

أقول: فليس غريباً أنْ يَؤول حال المرجئة إذاً، في هذه الأزمنة المتأخرة إلى هذا الحال المزري؛ من الترقيع للطواغيت وتهوين الردّة بوصفها (كفر دون كفر)، وتسمية من كفّر أهلها بالخوارج والتكفيريين، ومن ثم شنّ الغارة عليهم وعلى دعواتهم وجهادهم.!!

ولذلك كلّه ميّزنا هؤلاء الخوالف عن المرجئة الأوائل وقيّدنا وصفهم، (بمرجئة العصر) تمييزاً لهم، كي لا نظلم أولئك بنسبة هؤلاء إليهم، أو خشية من أن نوهم مساواتهم بهم بمقايستهم عليهم؛ إذ أكثر هؤلاء الخوالف ولا أقول كلهم. أشبه بمرجئة الجهمية، أو غلاة المرجئة؛ منهم بمرجئة الفقهاء، خصوصاً في باب قصرهم الكفر بكافة أنواعه على التكذيب والجحود القلبي، أو تقييدهم له بذلك. " ([1])

3- يقول الشّيخ حسّان حسين آدم، ابو سلمان الصّومالي، في رسالته التّنبيهات على مافي الإشارات من الأغلوطات:

" اشتدّ نكير السّلف في الرّد على المرجئة والتّحذير من بدعتهم، واتّخذو منها مواقف صارمة لما أدركو مخاطر هذا الفكر البدعي وما يحمله من سلبيات ومخازي على كرامة هذه الأمّة وصفاء عقيدتها القويّة القادرة على مواجهة التحدّيات الفكريّة، فأصدرو البيانات تلو الأخرى وضربو من أجله ناقوس الخطر نصحاً وتأديةً للأمانة.

فالإرجاء مذهب انهزامي من حيث المنشأ والمبدأ، يدعو إلى الضعف والخور والإستكانة للذلّ والهوان، وهذا يرتبط بتاريخه وأجواء ابتداعه ". ([2])

ونقف عند حدّ هذا الكلام النّفيس، ونشرع في سرد مظاهر وثمار هذا الفكر المنحرف.

([1])أبو مُحَمَّد المقدسي، هو الشّيخ العالم العلم عاصمٌ البرقاوي الأردني، صاحب المؤلّفات النّافعة والتي نفع الله بها الأمّة وأنقذ به الشّباب. تبصير العقلاء بتلبيسات اهل التجهّم والإرجاء: ص 165

([2]) أبو سلمان الصّومالي، هو الشّيخ العالم الجهبذ حسّان بن حسين آدم، ناصر السنّة والتّوحيد، له مجموعة من الرّسائل والكتب النّفيسة . التنبيهات على ما في الإشارات من الأغلوظات : ص 46-47

المبحث الثّاني: ظاهرة الإرجاء المعاصرة، وفيه مطلبين :

المطلب الأوّل: صورٌ من الإرجاء المعاصر :

إنّ المرء ليعجب وإنّ العقول تحار في كثرة تفشّي مذهب الإرجاء في واقع المسلمين اليوم، وكيف تعدّدت صوره وأوجه وجوده في حياة العامّة والخاصّة، لكنّني سأضع النّقاط على الحروف وأقف على الصوّر المهمّة دون إسهابٍ أو إخلال، وإن كان الكلام يستحقّ أكثر من هذا لأهميته وللحاجّة الماسّة إليه.

الصّورة الأولى: تعريف الإيمان في الاصطلاح بأنَّه التَّصديق فقط وقول لا اله إلا الله؛:

وهذا الكلام ممّا شاع بين العامّة وانتشر بينهم، فاعتقدو بأن الإيمان هو التّصديق فقط، بل حكى بعضهم الإجماع على ذلك متأثرين بقولهم هذا الأشاعرة والمرجئة القدماء، وقد بنو أصلهم الفاسد على الدّلالة اللّغوية للإيمان وأنّه يدلّ على التّصديق فقط، يقول الشّيخ سعد بن بجّاد العتيبي في رسالته، وهو يجيب وينقض إدّعاء هذا الإجماع:

" نَقْضُ دعْوَى الإجماع على أنَّ الإيمانَ في اللُّغة قبلَ نزول القُرآن هو التصديق! مَنْ نَقَل هذا الإجماعَ؟ وفي أيِّ كتابٍ ذُكِر؟ ولو فُرِضَ أنه نُقِلَ عن واحد أو اثنين، فكيف يُعَدُّ هذا إجماعًا؟ وإذا فُرِضَ أنَّه مرادِفٌ للتصديقِ، فقولهم: إنَّ التصديقَ لا يكون إلَّا بالقلب أو اللسان عنه له جوابان:

أحدهما: المنع؛ لأنَّ الأفعال تُسمَّى تصديقًا؛ كما ثبَت في الصَّحيح عن النبي صلَّى الله عليه وسلَّم: ((فالعينان زِناهما النَّظَر، والأُذُنانِ زِناهُما الاستماعُ، واللِّسانُ زِنَاه الكلامُ، واليَدُ زِناها البَطْش، والرِّجْل زناها الخُطا، والقَلْبُ يَهْوَى ويتمنَّى، ويُصَدِّقُ ذلك الفرجّ أو يكذّبه)).

الثاني: أنَّهُ إذا كان أصلُه التَّصديقَ فهو تصديقٌ مخصوص، كما أنَّ الصَّلاةَ دعاءٌ مخصوص، والحجَّ قَصْدٌ مَخْصوص، وهذا التصديقُ له لوازِمُ، وصارتْ لوازِمُه داخلةً في مسمَّاه عندَ الإطلاق." ([1])

وكذلك يدّعي بعض هؤلاء، أنّ من قال لا اله إلا الله فقط بدون الأعمال الظّاهرة أو الباطنة مسلمٌ معصوم الدّم والمال، ملبّسين بذلك على النّاس ويستدلّون ظواهر أحاديثٍ ويزيّفون كلام العلماء والأئمّة .

([1]) العتيبي، هو الشّيخ الدّكتور سعد بن بجّاد العتيبي، له مجموعة من الأبحاث العلميّة. تسرّب المفاهيم الإرجائيّة في الواقع المعاصر: ص 48

وقد تكلّم العلماء في بيان هذه الشّبهة، وأنّ مجرّد القول بلا اله إلا الله قد تدخل الإنسان إلى الإسلام ولكنّ لها لوازمَ وشروطَ وواجباتٍ ونواقض، متى ما فُقدت الشّروط وخلا عن الواجبات وارتكب النّواقض فقول هذه الكلمة المجرّدة لا تغني له شيئا ولو قالها في اليوم مائة مرّة.

يقول الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام في كتابه الإيمان، بعد أن ذكر قوله تعالى: **﴿فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً﴾ [السّورة النساء: الآية:/59]** "وقال: وأنّا رددنا الأمر إلى ما ابتعث الله عليه رسوله ﷺ، وأنزل به كتابه، فوجدناه قد جعل بدء الإيمان شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمّداً رسول الله ﷺ، فأقام النبي ﷺ بمكة بعد النبوة عشر سنين أو بضع عشر سنة يدعو إلى هذه الشهادة خاصة، وليس الإيمان المفترض على العباد يومئذ سواها، فمن أجاب إليها كان مؤمنا لا يلزمه اسم في الدين غيره، وليس يجب عليهم زكاة ولا صيام ولا غير ذلك من شرائع الدين.. فجعل الإقرار بالألسن وحدها هو الإيمان المفترض على الناس يومئذ، فكانوا على ذلك إقامتهم بمكة كلها، وبضعة عشر شهراً بالمدينة بعد الهجرة فلما أثاب الناس إلى الإسلام وحسنت فيه رغبتهم زادهم الله في إيمانهم أن صرف الصلاة إلى الكعبة بعد أن كانت إلى بيت المقدس.. ثم خاطبهم وهم بالمدينة باسم الإيمان المتقدم لهم، في كل ما أمرهم به أو نهاهم عنه. وإنما سماهم بهذا الاسم بالإقرار وحده، إذ لم يكن هناك فرض غيره، فلما نزلت الشرائع بعد هذا وجبت عليهم وجوب الأول سواء. لا فرق بينهما، لأنهما جميعاً من عند الله وبأمره وبإيجابه، فلو أنهم عند تحول القبلة إلى الكعبة أبوا أن يصلوا إليها، وتمسكوا بذلك الإيمان الذي لزمهم اسمه والقبلة التي كانوا عليها، لم يكن ذلك مغنياً عنهم شيئاً، ولكان فيه نقض لإقرارهم.. فلما أجابوا الله ورسوله إلى قبول الصلاة كإجابتهم إلى الإقرار، صارا جميعاً معاً هما يومئذ الإيمان.. فلبثوا بذلك برهة من دهرهم، فلما أن داروا إلى الصلاة مسارعة، وانشرحت لها صدورهم، أنزل الله فرض الزكاة في إيمانهم إلى ما قبلها، فلو أنهم ممتنعون من الزكاة عند الإقرار وأعطوه ذلك بالألسنة. وأقاموا الصلاة غير أنهم ممتنعون من الزكاة كان ذلك مزيلاً لما قبله، وناقضاً للإقرار والصلاة.. والمصدق لهذا جهاد أبي بكر الصديق رحمة الله عليه بالمهاجرين والأنصار على منع العرب الزكاة كجهاد رسول الله ﷺ أهل الشرك سواء لا فرق بينهما في سفك الدماء وسبي الذرية واغتنام المال. فإنما كانوا مانعين لها غير جاحدين بها، ثم كذلك كان شرائع الإسلام كلها، كلما نزلت شريعة صارت مضافة إلى ما قبلها لاحقة به ويشملها جميعاً اسم الإيمان، فيقال لأهله مؤمنون. وهذا هو الموضع الذي غلط فيه من ذهب أن الإيمان بالقول.

كما غلطوا في تأويل حديث النبي ﷺ.. حين سأله الذي عليه رقبة مؤمنة عن عتق العجمية. فأمر بعتقها وسماها مؤمنة، إنما هذا على ما أعلمتك من دخولهم في الإيمان ومن قبولهم وتصديقهم بما نزل منه، وإنما كان ينزل متفرقاً كنزول القرآن"

([1]) الإمام الحافظ المجتهد ذو الفنون أبو عبيد ، القاسم بن سلام بن عبد الله وصنف التصانيف المونقة التي سارت بها الركبان. الإيمان: ص 62

وكذلك يقول الشّيخ الشّوكاني في كتابه نيل الأوطار:

" إجماع المسلمين على أن هذه الأحاديث مقيدة بعدم المانع، ولهذا أوّلها السلف، فحكى عن جماعة منهم ابن المسيب أن هذا كان قبل نزول الفرائض والأمر والنهي. وحكى النووي عن بعضهم أنه قال هي مجملة تحتاج إلى شرح، ومعناه من قال الكلمة وأدى حقها وفريضتها، قال: وهذا قول الحسن البصري، وقال البخاري أن ذلك لمن قالها عند الندم والتوبة ومات على ذلك ذكره في كتاب اللباس". ([1])

وله مقالٌ أخرى، نفس السّياق في كتابه إرشاد السّائل إلى دلالة المسائل:

" السؤال الثاني: حاصله، ما حُكم الأعراب سكان البادية الذين لا يفعلون شيئاً من الشرعيات إلا مجرد التكلم بالشهادة هل هم كفار أم لا وهل على المسلمين غزوهم أم لا) قال رحمه الله: - (من كان تاركاً لأركان الإسلام وجميع فرائضه ورافضاً لما يجب عليه من ذلك من الأقوال والأفعال ولم يكن لديه إلا مجرد التكلم بالشهادتين، فلا شك ولا ريب أن هذا كافر شديد الكفر حلال الدم، وصيانة الأموال إنما تكون بالقيام بأركان الإسلام" ([2])

ويقول الشّيخ حمد بن ناصر آل معمر، في رسالته القيّمة الفواكه العذاب في الردّ على من لم يحكم السنة والكتاب، وهو في معرض حديثه عن هذه المسألة:

"قال علماؤنا رحمهم الله إذا قال الكافر لا إله إلا الله فقد شرع في العاصم لدمه فيجب الكف عنه فإن تم ذلك تحققت العصمة وإلا بطلت، ويكون النبي ﷺ قد قال كل حديث في وقت، فقال: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: "لا إله إلا الله") ليعلم المسلمون أن الكافر المحارب إذا قالها كف عنه وصار دمه وماله معصوماً، ثم بين صلى الله عليه وسلم في الحديث الآخر أن القتال ممدود إلى الشهادتين والعبادتين. فقال: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن مُحَمَّداً رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة) فبين أن تمام العصمة وكمالها إنما يحصل بذلك، ولئلا تقع الشبهة بأن مجرد الإقرار يعصم على الدوام"

([1]) الشّوكاني،هو الإمام العلامة المجتهد القاضي مُحَمَّد بن علي بن مُحَمَّد بن عبد الله الشوكاني ثم الصنعاني، له كتبٌ جمّة مفيدة نيل الأوطار :367/1

([2]) الرسالة الخامسة ضمن مجموعة الرسائل المنيرية : 88/3

هاهم العلماء تتماثل أقوالهم، وتتّفق تقريراتهم في بيان ضلالة هذه المقولة، وعوار هذا المذهب فهل لها آذانٌ صاغية وقلوبٌ واعية؟!

وننقل الآن ونختم المطلبَ كلاماً رائعاً وقولاً مسدّدا للإمام المجدّد مُحَمَّد بن عبدالوهّاب في كتابه كشف الشبهات، يقول الشّيخ رحمه الله:

" ولهم شبهة أخرى، يقولون: أن النبي ﷺ أنكر على أسامة قتل من قال: لا إله إلا الله، قال: (أقتلته بعدما قال: لا إله إلا الله؟!) وكذلك قوله: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: (لا إله إلا الله؟) وأحاديث أخرى في الكف عمن قالها. ومراد هؤلاء الجهلة أن من قالها لا يكفر، ولا يقتل، ولو فعل ما فعل.

فأما حديث أسامة فإنه قتل رجلاً ادعى الإسلام بسبب أنه ظن أنه ما ادعاه إلا خوفاً على دمه وماله. والرجل إذا أظهر الإسلام وجب الكف عنه حتى يتبين ما يخالف ذلك. وأنزل الله في ذلك: ﴿**يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا**﴾ **[السّورة النساء:الآية/ 94]** أي: فتثبتوا، فالآية تدل على أنه يجب الكف عنه، والتثبت، فإن تبين منه بعد ذلك ما يخالف الإسلام قتل، لقوله:{**فتبينوا**}ولو كان لا يقتل إذا قالها، لم يكن للتثبت معنى. وكذلك الحديث الآخر وأمثاله، معناه ما ذكرناه أن من أظهر الإسلام والتوحيد وجب الكف عنه، إلا إن تبين منه ما يناقض ذلك"([1])

وكذلك يقول مرّة أخرى:

" ويقال أيضاً هؤلاء أصحاب رسول الله ﷺ قاتلوا بني حنيفة، وقد أسلموا مع النبي ﷺ وهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن مُحَمَّداً عبده ورسوله، ويؤذنون ويصلون. فإن قال: إنهم يقولون: إن مسيلمة نبي. قلنا: هذا هو المطلوب. إذا كان من رفع رجلاً إلى رتبة النبي ﷺ كفر وحل ماله ودمه ولم تنفعه الشهادتان ولا الصلاة، فكيف بمن رفع شمسان أو يوسف أو صحابياً أو نبياً في رتبة جبار السموات والأرض، سبحان الله ما أعظم شأنه: ﴿**كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون**﴾ **[السّورة: الروم:الآية/ 59]**) . ([2])

([1])مُحَمَّد بن عبدالوهّاب ، هو الإمام المجدد العالم المجتهد محي السّنة وقامع البدع، ألّف الكتب وصنّف الرّسائل فنفع الله به الأمّة وأظهر به التّوحيد والإسلام. كشف الشّبهات: ص 24

([2]) كشف الشّبهات: ص 20

الصّورة الثّانية: التّهوين من شأن تحكيم الشّريعة والذبّ عن الحكّام المشرّعين من دون الله:

إنّ الأمر جللٌ والمصيبة عظيمةٌ، فلا أدرى أأتكلّم عن الطّوام والفساد الكبير والشّركيّات والكفر والذّل الذي استحكم في واقع المسلمين اليوم فظهر وانتشر، حتى ألِفو وتآلفو معه، فأصبح واقعاً يجب التّعامل معه وأصلاً لا استثناءاً يؤصَّل له ومقياساً فُرِض التّحاكم إليه، وأصبح النّاقد له والسّاعي إلى تغييره شاذاً يشار إليه بالبنان ومحل تسفيهٍ وتعيير، ام أتكلّم عمّن يرقّعون للأنظمة المستحكمة في بلاد المسلمين اليوم ظلمهم وجورهم وتشريعهم من دون الله ويساعدونهم بالفتاوى ويجعلونهم أئمة حقٍ تجب طاعتهم في المنشط والكره ويصبّون جام الغضب ويحاربون على الّذين يدعون إلى تحكيم كتاب الله والعودة إلى حظيرة العدل والأمان والحرّية في ظلال الشّريعة ويصفونهم بالخوارج والتّكفيريّن ودعاة الفتنة، ويقفون سدا منيعاً لهؤلاء الأنظمة والحكّام ؟!!

إنّ من أظهر ثمار الإرجاء وصوره في واقعنا اليوم، التّهوين والتّقليل من شأنِ دعوى حاكميّة الله في الكون وتحكيم الشّريعة في أوطان المسلمين كلّها، ووصفها بأنّها من توافه القضايا وإشغالهُا بالمسلمين ينمّ عن قلّة فقه وقصر علمٍ، وأيم الله إنّ مثل هذه المقولات لهي أشدّ من فِعال التّاركين لحكم الله الموالين أعداءه، إذ هي جرأةٌ على الدّين وتقليلٌ من شأن الدّعوة الى حكم الله، لأنّ هذه الدّعوة هي دعوة الرّسل وقضيّة الأنبياء صلوات ربّي وسلامه عليهم والّتي من أجلها بعثو ولأجلها جرّدت سيوف الجهاد، وكذلك هي استهزاءٌ لأحكام الشّريعة واتّباعٌ لهوى الأنفس وتقديم بعض الأصول عن بعض بدون دليلٍ، وهي خدمةٌ مجّانيّة لأعداء الملّة والدّين وإفساح المجال للعلمانييّن واللّيبراليين وتركهم يفعلون في دين الله كيف شاؤو، أفلا ينظرون إلى بلدان المسلمين ماذا فعلت بهم القوانين الوضعيّة من إفسادٍ لشباب المسلمين وإغواءهم في بحور الشّهوات والضّلال عندما رخّصو الفضائيّات والإعلام والسينما وتركوهم يقدّمون الأفلام الخليعة والمسلسلات الهابطة وكذلك دور الدّعارة والدّناءة وأغرقوهم بشتى المخدّرات وأباحو الزّنا وشرب الخمر، وغزت أفكار الإلحاد عقولهم ووجد من يدعو صراحةً الى دين الإلحاد والعلمانيّة الماديّة وهم يتستّرون بدعوى حريّة الإعتقاد وحرية الفكر؟ أفلا ينظرون إلى خيرات المسلمين كيف تنهب وثرواتها كيف تسلب ؟ أفلا ينظرون إلى بلاد المسلمين كيف يغزوها العدوّ الصليبي احتلالاً سافراً تارّة ومقنّناً تارّات أُخَر ؟ !!

فلنتساءل اذاً وحقّ لنا، من الّذي سمح لأؤلئك ووأفسح لهم المجال وقاد المسلمين إلى ما هم عليه الآن من ضياع؟ من الذي يحمى القوانين الوضعية الفاسدة ويلزمها على النّاس ؟ من الذي يتعاون مع أعداء المسلمين بل ويخدم لهم

ويفرشُ لهم الطّريق ؟

أليست هي الأنظمة الجائرة العميلة التي تصادر حكم الله وتحارب أولياه وتضايقهم ؟!

ثمّ أليس الّذين يدافعون عن هؤلاء يبثون السمّوم ويدسونها بالعسل وينشرون الإرجاء ويؤصلون له لكي يفسدو المسلمين على دينهم ودنياهم ؟

فالإرجاء كما سبق دينٌ يحبّه الملوك ويحققّ لهم أهواءهم، والواقع خير شاهدٍ ودليل.

يقول الشّيخ عاصم البرقاويّ في رسالته الإمتاع :

" ونحن نقول بدورنا.. لمرجئة زماننا: إذا كان من رفع رجلاً إلى رتبة النبي ﷺ كفر وحل ماله ودمه لم تنفعه الشهادتان ولا الصلاة، فكيف بمن رفع (جابراً أو حسناً أو حسيناً أو حسنياً) أو غيرهم من الأمراء والرؤساء والملوك، أو نائباً في البرلمان، في رتبة جبار السموات والأرض فجعل له حق التشريع المطلق الذي لا يكون إلا لله تعالى.. وكيف بمن رفع الدستور والقانون في رتبة كتاب الله في الحكم والقضاء والتشريع بين العباد بل جعله مهيمناً عليه وحاكماً عليه فلا اعتبار لآية من آياته أو حكماً من أحكامه ما لم توافق الدستور ويصدق عليها الأمير. سبحان الله وتعالى عما يصفون: ﴿**كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون**﴾ **[السّورة :الروم:الآية/ 59]**. ([1])

([1]) إمتاع النّظر في كشف شبهات مرجئة العصر: ص 76

وللدّكتور صلاح الصّاوي كلامٌ مباركٌ أثناء حديثه عن هذه المسألة في مقدّمة رسالةٍ له، فيقول ابتداءاً عن أهمية تحكيم الشّريعة وموضعها من الإسلام:

" إن الأمر جد خطير! إنه جد لا هزل فيه وحق لا ريب فيه، ومحكم لا تشابه فيه، إنه مفترق الطرق بين الإيمان والكفر، والحد الفاصل بين التوحيد والشرك، إنه المعترك الذي فرضه علينا خصوم الإسلام في هذا العصر، ويأبون إلاّ أن يقهروا فيه ديننا و يهزموا فيه شريعتنا بأيدينا من خلال أناس من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا، وبدون أن تراق لهم فيه قطرة دم واحدة!!

إنه يتعلق بموقف جماهير المسلمين من قضية تحكيم الشريعة الإسلامية.

وخطورة هذا الموضوع أنه لا يتعلق بأمر جزئي من فروع هذه الشريعة كالحث على أداء واجب أو مندوب، أو الزجر عن فعل محَّرم أو مكروه، ولكنه يتعلق بأصل الدين وأخطر قضايا الإيمان وأول يدعى الناس إليه عند إرادة الدخول إلى الإسلام.

إن موضوع هذا الكتاب لا يتعلق بالإيمان الواجب الذي يتفاوت الناس فيه ما بين ظالم لنفسه ومقتصد وسابق للخيرات بإذن الله، ولكنه يتعلق بالتوحيد الذي لا يثبت عقد الإسلام ابتداءً إلا باستيفائه، والذي ينقسم الناس عنده إلى مؤمنين وكافرين، فمن تحقق فيه فقد ثبت له عقد الإسلام، ومن نقضه فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه!

والمحذور والمحظور في تناول جماهير المسلمين لهذه القضية أن يتم التعامل معها كما يتم التعامل مع غيرها من المشكلات الجزئية التي يتمارى الناس في تشخيصها ، ويتفقون أو يختلفون في طريقة معالجتها، ولا تبلغ في تقديرهم مبلغ الثوابت الإيمانية والمحكمات العقائدية التي لا خيار للناس في إقرارها والتعامل معها بمنطق التسليم التام، والانقياد المطلق، وعقد الولاء والبراء على أساسها، إن أرادوا لأنفسهم أن يكونوا مسلمين.

إن هذه القضية هي الإسلام ، فالقبول بها قبول بالإسلام، والممارة فيها أو التردد في قبولها مماراة في الإسلام وتردد في قبوله.

وهل الإسلام إلا الاستسلام لله– عز وجل – والإذعان له تصديقاً وانقياداً لأمره؟

وهل الإيمان الذي يثبت به عقد الإسلام إلا تصديق الخبر والانقياد للأمر؟

وهل الكفر الذي يوجب الخلود في نار جهنم إلا التكذيب أو الإباء؟

وهل يبقى مع أحد من الناس ذرّة من الإيمان إذا استقبل خبر الله بالتكذيب، أو استقبل شيئا من شرائعه بالرد أو الاعتراض؟

إن هذا هو الإطار الصحيح الذي يجب أن تعرض فيه هذه القضية حتى تقام بها الحجة على الكافة، وإن أية محاولة لعرضها خارج هذا الإطار تمييع لها وغضٌّ من قيمتها وتمهيد السبيل للفتنة عنها والمساومة فيها.

إن أنكى ما ابتليت به قضية تحكيم الشريعة في السنوات الماضية أنها لم تكن دائماً في هذا الإطار الذي تتبوَّأ به منزلتنا من الدين كما أرادها الله- عز وجل- وإنما قُدِّمت في الأعم الأغلب في إطار جزئي منقوص الأطراف فتمهد السبيل للطَّعن فيها والتشكيك في صلاحيتها، والقابلية للمساومة فيها.

وقد ترتب على ذلك من الوهن والتخاذل في نصرة هذه القضية ما قرَّت به عيون الخصوم، واطمأنت به جنوبهم إلى المضاجع، وهم يرون من أبناء الإسلام من يعمل فكره وقلمه في التشكيك في صلاحية الشريعة للتطبيق، ويجتهد في فتنة الناس عنها، ودمغ دعاتها بالتُهم والمناكر فلا ملجأ إذن ولا نجاة لأهل العلم إلا بالبيان والصَّدع بكلمة الحق وإقامة الحجَّة بها على الكافة وإبراء الذمة بنصح الأمة حكاماً ومحكومين ليهلك من هلك على بينة ويحيا من حي على بينة كما قال تعالى﴿ **قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَداً إِلَّا بَلَاغاً مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً** ﴾ . (**السّورة :الجن الآية/ 22-23**)

وقال تعالى﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً أُولَـئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلاَّ النَّارَ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾. (**السّورة :البقرة الآية/ 174**)

وقال تعالى﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَـئِكَ يَلعَنُهُمُ اللّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ إِلاَّ الَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَـئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ** ﴾. (**السّورة: البقرة الآية/160**)

يقول ابن كثير رحمه الله :-

"هذا وعيد شديد لمن كتم ما جاءت به الرسل من الدلالات البينة على المقاصد الصحيحة والهدى النافع للقلوب من بعد ما بينه الله تعالى لعباده في كتبه التي أنزلها على رسله"

ومن ناحية أخرى فقد حملت إلينا أوثق دواوين السُنة المطهَّرة قول النبي،:"الدين النصيحة! قلنا لمن؟ قال :(لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم).

والمقصود بأئمة المسلمين في هذا الحديث هم الخلفاء وغيرهم ممن يقوم بأمور المسلمين من أصحاب الولايات، فهذا هو المشهور في بيان المراد بأئمة المسلمين في هذا الحديث، كما حكاه النووي والخَّطابي وغيرهم من أهل العلم،

فكل من وُلي أمراً من أمور المسلمين صَغُرَ هذا الأمر أو كَبُرَ، فهو داخل في مدلول هذه الكلمة.

ومن النصيحة لهم إعلامهم بما غفلوا عنه من الحق، وتذكيرهم به، وإعانتهم عليه، وطاعتهم فيه.

أما النصيحة للعامة فتتمثل في إرشادهم لمصالحهم في آخرتهم ودنياهم وكف الأذى عنهم، وذلك بإعلامهم بما جهلوا من أمر دينهم وإعانتهم عليه إما بالقول أو بالفعل وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر والذبّ عن أموالهم وأعراضهم وتنشيط هممهم إلى الطاعات، وستر عوراتهم وسدّ خلاّتهم ودفع المضار عنهم وجلب المنافع لهم، وأن يحبُّ لهم ما يحبّ لنفسه من الخير ويكره لهم ما يكره لنفسه من المكروه." ([1])

وكذلك أيضاً يقول وهو يتكلّم عن ثمرة الإرجاء وآثارها في قضيّة تحكيم الشّريعة:

" ولقد كان من أخطر الآفات–الّتي مُنِيَ بها الفكر الإسلامي في عصور الانحطاط–شيوع القول المخالف لعقيدة أهل السُنَّة في باب الإيمان بِقَصْرِ الإيمان على مجرد التصديق الخبري الَّذي لا ينقضه إلا تكذيب اللسان فحسب.

ولهذا عربد المعربدون من الطواغيت ومن شايعهم،وأجهزوا على شريعة الإسلام وولغوا في دماء أبنائه وهم لا يزالون عند أنفسهم،وفي حِسِّ كثير من شعوبهم مسلمين**!**لأنهم لم يعلنوا بألسنتهم التكذيب بالتوحيد والرّسالة**!!!**.

ولو كان الإيمان هو مجرد التصديق ما كان هناك وجهٌ لتكفير أبي طالب وهو القائل:

ولقد علمتُ بأن دين مُحَّد   من خير أديان البريـة دينا

بل هو الّذي عاش طيلة عمره يدفع عن رسول الله ويحوطه ويمنه، بل وتحمّل معه في الشِّعب أقصى ما تحمّله المؤمنون الصادقون ،ولكنه مع ذلك أبى الانقياد للإسلام فمات يوم مات كافراً بالله العظيم**!!** وعندما قال النبي :"لأستغفرنّ لك مالم أنهَ عنك"أنزل الله عزّ وجلّ قوله:﴿**ما كان للنبي والّذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم**﴾ **السّورة: التوبة الآية/113**)، وقد صح أنه أهونُ أهل النار عذاباً يقف على جمرتين من نار تغلي منهما عروق رأسه، وهو يظنُّ أنه أشدُّ أهلها عذاباً**!**

ولو كان الإيمان مجرد التصديق ما كان هناك وجه لتكفير علماء أهل الكتاب بعد أن قال الله فيهم﴿**الّذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبنائهم وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون**﴾ **السّورة: البقرة الآية/ 146**).

وكفر هؤلاء معلوم بالضّرورة من الدين.

([1]) الصّاوي،هو الدكتور صلاح الصاوي،باحث شرعي و له مجموعةٌ من الكتب النّافعة. تحكيم الشّريعة وصلته بأصل الدّين: ص 3

بل لو كان الإيمان مجرد التصديق ما كان هناك وجه لتكفير أهل مكة وقد قال الله فيهم:

﴿ قد نعلم أنه يحزنك الّذي يقولون فإنهم لا يكذّبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون﴾
السّورة: الأنعام الآية /33)

بل لما كان هناك وجه لتكذيب إبليس ،فإنه لم يقع منه تكذيب،لأنّ الله–تعالى– قد باشره بالخطاب ولم يرسل إليه رسولاً يأمره بالسجود،ولكنه أبى واستكبر وكان من الكافرين واستحقّ على ذلك لعنة الخلد ونار الأبد.

أيها المسلمون:

ما أيسر إدِّعاء الإيمان، وما أسهل أن يرفع كلُّ إنسان عقيرته بأنه مؤمن،ولا يزال المنافقون والزنادقة على مدار التاريخ يدّعون الإيمان بل ويزعمون للناس أنهم مجددون،وأنهم يصلحون في الأرض ولا يفسدون.

لقد ادعى الإيمان غلاةُ الباطنية وقد قالوا ما قالوا في القرآن الكريم،وفي صحابة رسول الله ،وفي أم المؤمنين عائشة ﵂ وانتحلوا من العقائد ما تتضاءل دونه عقائد اليهود والنصارى والمجوس.

وادّعى الإيمان القاديانيّة مع قولهم بنبوة مرزا غلام أحمد، وتكفيرهم لكافّة المسلمين لأنهم لا يؤمنون بنبوته وادّعى الإيمانَ البهائيّةُ والبابيّةُ والبهرةُ وغيرهم من دعاة الضلالة والزندقة.

وادّعى الإيمان شيوعيّو هذا العصر ولقبّوا أنفسهم بقلب(الحاجّ) وأقاموا في أحزابهم لجاناً للشئون الدينية !!

﴿ يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون﴾.(السّورة : البقرة9الآية).

بل ادّعى الإيمان من دعا إلى زمالة بين الأديان–ليهدم حاجز الولاء والبراء–ودعا إلى تأليف كتب دينية مشتركة يلتقي عليها المسلمون والنصارى واليهود.

وادّعى الإسلام خصوم الشريعة ودعاة التغريب والعلمانية ممن أنفقوا أعمارهم في تسويد الصحائف الطِوال في تشويه شرائع الإسلام وفتنة الناس عنها ، ودعوة الناس جِهاراً إلى الكفر بالإسلام الدّولة والاكتفاء به عقائد وشرائع يمارسها من شاء وطافوا في جامعات الغرب يزيّفون وعي العالم عن تاريخ الإسلام، ويقدِّمونه لأهل هذه البلاد على أنه جملة من الظلم والاستبداد وسلسلة من المجون والتهتكات!

أيها المسلمون:

ما أرخص الإيمان عندما يكون كلاماً وما أغلاه عندما يصير حرمة وذماماً،وإنّكم في مواقعكم المختلفة مسئولون أمام الله–جل وعلا–عن الانتصار لشريعته وإعلاء كلمته وتعرية خصومه وأعدائه،واعلموا أن لا صحّة لإسلام رجلٍ باع نفسه للشيطان،ووقف في صفوف خصوم الشريعة يكيد لها مع الكائدين ويطعن فيها مع الطاعنين!

إن في الأمة حفنة مارقة نبذت رداء عقيدتها ورداء إسلامها،وباتوا أبواقاً لدعوات التضليل والفتنة الوافدة من

الغرب والشرق،يقبلوا الانتساب إلى أية راية –شرقية كانت الراية أو غربية–إلا أن تكون هذه الراية هي الإسلام!،ويتسامحون مع كل دعوة ليبرالية كانت هذه الدعوة أو فاشية أو ما شاء الشيطان من صنوف الضلالة والغواية إلا أن تكون هذه الدعوة الإسلام،ورغم ذلك لا يزال لهم انتساب صوري إلى الإسلام!،وإن ذهبتَ تجادلهم زعموا لك أنهم مسلمون كابراً عن كابر،وأنهم عريقون في الإيمان..!

فهل يعلم الذين يخدِّرون عقولهم وأرواحهم بأوهام الإرجاء والتجهم ،يزعمون أن الإيمان هو التصديق، وأنهم ماداموا لم يكذِّبوا بشئ من القرآن والسنّة فهم المسلمون المؤمنون وإن بدلوا من أحكام الله ما بدلوا وردّوا من شرائعه ما ردّوا، وطعنوا في دينه ما طعنوا،ونسبوا شريعته إلى البداوة والهمجية،ونعتوا حدوده بالبشاعة والوحشية، وتحالفوا مع شياطين الإنس والجن في الشرق والغرب لنبذ هذه الشريعة،وفتنة حملتها، وإبادة الداعين إليها..!

هل يعلم هؤلاء المبطلون أنهم من الإسلام مارقون وعن أهله مبعدون، وأنهم عند ربهم موقوفون ليذيقهم عذاباً شديداً وليجزيهم أسوأ الذي كانوا يعملون؟!

هل يعلم الّذين يسعون لفصل الدين عن الدولة أن فصل الدين عند الدولة هدمٌ للدين كله وأنه لا يُقدِمُ عليه المسلمون إلا بعد أن أصبحوا مرتدين لمجرد سعيهم هذا.

هل يعلم الذين يدعون إلى العلمانية ويروجون للفصل بين الدين والسياسة أن العلمانية ثورة في وجه النبوة،وأنها انقلاب ضد الدين،وأنها حريقٌ حول الكعبة؟!!

هل يعلم هؤلاء الّذين يدَّعون الإيمان مع كفرهم بشرائع الإسلام،وموالاتهم لأعداء الإسلام،وإصرارهم على بقاء الأمّة تدور في فلك الأنظمة الوضعية أنهم بذلك يُسلمون مقاد أمتهم إلى اليهود الصهاينة وإلى الصليبيين،وأنهم يجرونها ورائهم إلى الهاوية،وأن حظهم من الإيمان كحظِّ الزنادقة والملاحدة وغيرهم من سائر المرتدين؟!

هل يعلم هؤلاء أن عقد الإسلام لا يثبت إلا على قد التصديق والانقياد،وأنهم إذ يرفضون الانقياد لشرائع الله بل يرفضون ردّ الأمور ابتداءً في مجال القضاء والسياسة ونحو ذلك إلى الكتاب والسنّة فإنهم بذلك لا يزالون مرتدّين على أعقابهم يتخبطون في أوحال من الكفر ودركات من الغواية والضلالة ظلمات بعضها فوق بعض؟

هل يعلم هؤلاء أن أعداء الأمة أحرص ما يكونون على إخراج الإسلام من المعركة حتى يبقى هذا المارد حبيساً في قمقمه فتظل جيوشهم تصول وتجول وحدها في الميدان؟!

لقد نشرت صحيفة "يديعوت أحرونوت"في 1978/3/18م مقالاً حللت فيه الهجوم على جنوب لبنان وانتقدت إجراء التلفزيون اليهودي مقابلات مع العميل الخائن سعد حدّاد وإبراز معالم البهجة التي عمّت القرى المارونية النصرانية إزاء احتلال الجيش اليهودي لجزء كبير من جنوب لبنان، وفيما يلي قطوف من هذا التحليل لعل فيها عبرة لهؤلاء المخدوعين والنيام:

قالت الصحيفة :"إن على وسائل إعلامنا ألا تنسى حقيقة هامّة هي جزء من إستراتيجية اسرئيل في حربها مع العرب،هي أننا قد نجحنا بجهودنا وجهود أصدقائنا في إبعاد الإسلام عن معركتنا مع العرب طوال ثلاثين عاما ،ويجب أن يبقى الإسلام بعيداً عن المعركة إلى الأبد،ولهذا لا يجب أن نغفل لحظة واحدة عن تنفيذ خطتنا في منع استيقاظ الروح الإسلامية بأي شكل ،وبأي أسلوب ولو اقتضى الأمر الاستعانة بأصدقائنا الاستعمال العنف والبطش لإخماد أيّة بادرة ليقظة الروح الإسلامية في المنطقة المحيطة بنا"واختتمت الصحيفة تحليلها قائلة :

"ولكن تلفزيوننا الإسرائيلي وقع في خطأ أرعن ،كاد أن ينسف كل خططنا ،فقد تسبب هذا التصرف في إيقاظ الروح الإسلامية،ولو على نطاقٍ ضيّق،ونخشى أن تستغل الجماعات الإسلامية المعروفة بعدائها لإسرائيل هذه الفرصة لتحريك المشاعر ضدنا ،وإذا نجحت في ذلك،وإذا فشلنا بالمقابل في إقناع"أصدقائنا" بتوجيه ضربة قاضية إليها في الوقت المناسب فإن على "إسرائيل"أن تواجه حين ذلك عدوّا حقيقياً"لا وهميّاً" وهو عدو حرصنا أن يبقى بعيداً عن المعركة.

وستجد إسرائيل نفسها في وضعٍ حرج،إذا نجح المتعصبون ،أولئك الذين يعتقدون أن أحدهم يدخل الجنة إذا قتل يهوديّاً،أو إذا قتله يهودي"

ترى هل يفيق هؤلاء؟أم أن حجب الغفلة ورين الأهواء أكثف من أن ينفذ منها شعاع من النور،أو أن تتخللها صيحة نذير..!

ترى هل يعقل هؤلاء الذين يقهرون صوت الإسلام في شعوبهم أنهم يخربون بيوتهم بأيديهم وأنهم يفعلون ذلك لحساب أعدائهم الذين يقبعون وراء الستار يوجهون المسار ويقطفون الثمار.!" ([1])

ونقف عند هذا الحد، فالأمر مبكٍ حقيقةً والخبر محزن، ونسأل الله العليّ العظيم أن يردّ المسلمين إلى دينهم رداً جميلا، ويعجّل النصر لهم ويؤذن لشرعه أن يحكُم إنّه وليّ ذلك والقادر عليه .

([1]) تحكيم الشّريعة وصلته بأصل الدين: ص 25

الثّاني: أضراره وعلاجه:

إنّ أضرار الإرجاء على الدّين والأمّة جمةٌ عديدة، وكما أسلفنا سابقاً فإنّه لا توجدُ فتنةٌ أو مذهبٌ أضرّ على هذه الأمّة من فتنة الإرجاء، ومن آثارها المدمّرة وانعكاسها السّلبي وأضرارها على الدّين والأمّة:

1- الإخلال في فهم " لا اله إلا الله " ، وتجريدها من معناها الصحيح وعدم الإعتبار في شروطها ولوازمها ونواقضها، وذلك أدّى إلى فشّو المنكرات والمعاصي المكفّرة وغير المكفّرة بين المسلمين، وذلك بذريعة قول " لا اله إلا الله" وأنّه لا يضرّ مع قولها معصية ولا ناقض.

2- نبذ الدّعوة إلى التّحاكم بالكتاب والسنّة، وجعلها من الأمور الثّانويّة التي يستقيم من دونها الأحوال، وغضّ الطّرف عن القوانين الوضعيّة التي فرِضت على الأمّة، وورث منها المسلمون الظّلم والفساد والذّل.

3- محاربة أهل التّوحيد ودعاة الحقّ، ورميهم بتهمة الخوارج والتّكفيريين جزافاً، وتأليب العامّة عليهم، ووصفهم بأنّهم دعاة فتنةٍ ومندسّين يبثّون السّموم بين المسلمين، والتّشكيك من علمهم ومعرفتهم وجعلهم جهلاء سفهاء أحلام يعبثون بالأمن والأمان التي تنعم به الأمّة.

4- تمييع قضية الولاء والبراء، وذلك في شرعنة الحدود الوهميّة التّي فرضها المستعمر على المسلمين وتمزيقه لبلادهم، ومباركة العقائد الوثنية الباطلة كالوطنيّة والقوميّة وغيرها، وتعليق الولاء والبراء بهم، وتبرير التّعاون مع المحتلّين والصّليبيين الغازين على ديار المسلمين، وجعل مناط الكفر في الموالاة مظاهرة الكفّار على المسلمين حباً لدينهم وما دون ذلك فهو من فسق الأعمال لا من نواقض الإسلام، وأنّ المرء كيفما ساعد الكفّار وناصرهم وظاهرهم على المسلمين فهو في حظيرة الإيمان ودائرة الإسلام !

5- إلغاء فريضة الجهاد، والقول بانّه لا جهاد اليوم ما دام إمام المسلمين غائب، والتّصرف في مثل هذه الأمور وفي غياب الإمام الأعظم متروكة لأولياء الأمور (الطّواغيت)، وهذه من أشدّ أضرار الإرجاء اليوم على الدّين والأمّة إذ هي موهنة للعزائم قاتلةٌ للهمم، فبلاد المسلمين اليوم كلّها تتعرّض لحملة صليبية خطيرة قلّ مثيلها في تاريخ المسلمين، والقواعد العسكريّة للعدّو موزّعة في شتّى أوطان المسلمين، وعمليّات تعذيب المسلمين وتنكيلهم وسجّهم في

غياهب السّجون جارية، وكذلك الإنكار بأنّ جهاد اليوم فرض عينٍ على المسلمين، ورمي إجماع المسلمين على تلك الأحوال في سلّة المهملات، فالفقهاء علّلو فرضية الجهاد إذا غزا العدو بلدةً من بلاد المسلمين ونحن اليوم كم من بلدةٍ أخذها العدوّ ؟ أين سبتة ومليلية؟ وأين بلاد القرم والشّشيان ؟ وأينت فلسطين اليوم ؟ وماذا عن البلاد التي دخلها العدوّ الصليبيّ كأفغانستان والعراق وسوريا والصّومال وغيرها واحتلّها ؟ !

ألا ليتهم سكتو لكيلا يضيفو لمآسي المسلمين التي دهت عليهم مصائبَ ورزايا يصعب التحرّر من أغلالها، والأمّة الإسلاميّة قادرةٌ على استعادة عزّتها وكرامتها متى ما تخلّت عن مثل هذه الأفكار المنحرفة.

وأختم القول بكلامٍ مهمٍ للشّيخ عبدالعزيز الطّريفي، وهو يتكلّم عن أحوال العراق المسلمة وما دهاها، ويجيب لعلماء السّوء الّذين يصفون جهاد هذا الشّعب الأعزل ودفعه للعدوّ بالفتنة ويعدّونه من الأمور المحرّمة:

" ألم نقرأ تاريخنا القريب، وأحوال الجزائر المسلمة حينما احتلها المستعمر " الفرنسي"، وسفك على أرضها أكثر من "مليون مسلم"، ونُزعت "فصول الجهاد" من الكتب الفقهية، ومُنع العلماء من إقراء أبواب الجهاد في كتب السنة، وسمِّي قتال المحتل وجهاده وإخراجه من بلاد المسلمين خروجاً وفتنة، واجتمعت كلمة أكثر أهل العمائم على هذا، وما إن انْجلت الغشاوة، ونزعت الرهبة والرغبة، حتى سُمِّي أولئك بالشهداء، وسُمِّيت بلاد الجزائر إلى اليوم "بلد المليون شهيد".

رسالة إلى العلماء أقولها وأفوض أمري إلى الله :من لم يُعانِ لا يفهم المعاني، والله يشهد وملائكته وجميع خلقه، أنني أكتب هذه الأسطر، وأنا مستيقن أن نساء العراق يغتصبن، وفي السجون أكثر من عشرة آلاف امرأة عراقية، وثابت عندي وعند غيري كثبوت الأصابع في الكف أن منهن من تُقاد بالسلاح عند خروجها من المدارس والجامعات بسيارات المحتل إلى متعة جنوده، والذكور والإناث يقتلون ليلاً ونهاراً، بأيدي محتل ظالم، والصمت ملعون إذا نطق الحجر، والعلم أمانة، وتبليغه ديانة، والصمت عند العجز؛ أدنى دركات الخيانة، تأملوا وتدبروا وتفكروا في الحال، تدركوا المآل، تجردوا من كل لباس إلا لباس التقوى، ومن حُرم التوفيق ضل في القول والعمل. إذا لم تتحرك الفطرة، والعفاف والطهر، فاجعلوا التاريخ لا يجد منكم إلا الصمت، فالصمت لا يكتبه التاريخ، ولا يصوره الزمن، ولا تعرفه الكتب، ولا يُحتاج معه في الغالب إلى الاعتذار.

دعوا العراقيين في أنفسهم، وشأنهم، فهم أعرف الناس بحالهم، فالشاهد يرى ما لا يرى الغائب، واعلموا أن الإعلام ليس بأيديهم، بل يملكه غيرهم، فيمحو ما يشاء ويثبت ما يشاء، وهو أعظم فتكاً في أمتنا من السلاح، شوّهوا به الإسلام،

وفرَّقوا به الشعوب، ونشروا العنصريات، واختلقوا الأكاذيب، وحاكوا القصص، وفيكم سمَّاعون لهم كثير.
في العراق أعراق، وعقائد ومذاهب، كما في غيره، لا يسقط بتفرقهم؛ دفعُهم عن حرماتِهم ودينهم، ما دام يجمعهم أصل الإسلام ..وفي كُل بلد عربي، أرباب بدع وضلال، يجمعهم مع أهل السنة الإسلام.

خذوا بالعزيمة؛ وليكن أقل أحوالهم؛ دفعهم عن المال والعرض والأرض، وقل لي بربك :أفي هذا فتنة أم دين وشريعة؟
روى قابوس بن أبي المخارق، عن أبيه قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله، أرأيت إن عرض لي رجل يريد مالي، ما أصنع؟ قال: ذكره بالله عز وجل، فإن أبى فاستعن عليه بالمسلمين، قال : فإن تأتى عنّي المسلمون؟ قال : فقاتل عن مالك حتى تكون من شهداء الآخرة، أو تحرز مالك.
(أخرجه النسائي وأبو نعيم وغيرهما.)

أُدرك أن ثقافة المنتصر وتاريخه وبصمته هي السائدة، والعين التي يبصر بها الكثير، ولكن هذا ما رأيتُ نصوص الوحي ناطقة به، بأفصح لسان، وأظهر بيان، وهو ما يدركه العقل الصحيح. ([1])

فلمثل الشّيخ عبدالعزيز الطّريفي – فكّ الله أسره – فليقم العلماء لقول كلمة الحقّ وليقودو الأمّة في طريق تحرّرها وليبثّو العقيدة الصحيحة وينفثو عنها الأفكار الفاسدة كالإرجاء وغيره ويقفوا لإنقاذ المسلمين من الوحل الّذي سقطت به والمستنقع الآسن التي تزرح في داخله، فهذا هو العلاج والدّواء الّذي يقطع دابر الشرّ وذنب الفتنة.

([1]) طرفٌ من مقال للعالِم الأسير عبد العزيز الطريفي وهو منشور في تاريخ: 27-12-2010م عن طريق موقع طريق الإسلام.

الـخـاتـمـة وفـيـهـا :

1- نتائج البحث والتّوصيات
2- الخاتمة
3- الفهارس

النّتائج والتّوصيات:

أولاً: أهمّ النّتائج:

بعد أن وصلنا نهاية البحث وخاتمته، وبعد أن عرفنا عن بيان عقيدة الإرجاء وتاريخ نشأتها وصورها وأضرارها، نختم البحث حول أهم ما توصّلنا إليه من نتائج خلال عرضنا لعقيدة الإرجاء ونقدنا لها، ونضيف إليها كذلك أهمّ التّوصيات التي نودّ تقديمها للقرّاء ولطلبة العلم والمسلمين جميعاً.

وهي كالآتي:

1. إنّ الإرجاء قديمٌ حديث، قديمٌ في طرحه واعتقاده، حديثٌ في نشره وتلميعه وستْره بأثوابٍ مختلفة، وأهل الإرجاء فيما بينهم مراتب وأقسام، أشدّهم فتنةً الغلاة منهم وأخفّهم درجةً المسمّون بمرجئة الفقهاء.

2. أنّ الإرجاء في مختلف مسمّياته ومدلولاته، أصله سواء ودافعه ردّة فعل، وهي عقيدةٌ تخلقها الأحداث وتوجّهها الظّروف الزّمانيّة والمكانيّة، ويركب في موجتها أهل الأغراض الدّنيئة والغايات الوضيعة.

3. أنّ إرجاء اليوم أخبث صورةً وأشدّ فساداً من سابقه في العصور الأولى، إذ الإرجاء اليوم هو السدّ المنيع والقلعة المحصّنة أمام تحرّر المسلمين من قيود الإحتلال وأغلال القوانين الوضعيّة التي فرضها العدوّ على بلاد المسلمين، والتي أورثتهم بالذلّ والعار الّذي هو مشهادٌ في الواقع ممّا يندى له الجبين وتشيب لها الوِلدان.

4. أنّ اتّباع هوى النّفس وتتبع المتشابه من الأحكام، يورث المرء بالميل عن الحقّ والعدول عن المنهج القويم والإنحراف عن الصّراط المستقيم والوقوع في شرَكِ البِدع والكفر والفِتن.

ثانياً: التّوصيات:

إنّ الدّين الإسلاميّ دينٌ شاملٌ كامل، يحمِل بين جنباتِهِ مُقوّمات البقاء وعوامل النّصر، والأمّة مأمورةٌ باتّباع الشّرع واعتصامِ حبلِ الله المتين والإقتداء بنبيّهم محمّد ﷺ وسلف هذه الأمّة، الّذي هو صمام حفظها من الزّيغ والإنحراف.

وأصل زيغ كلّ الطّوائف الشّاذة ذوات العقائد المنحرفة، وأسّ كل انحرافٍ وضلال هو ترك الرّجوع إلى كتاب الله وسنّة رسوله وفهم سلف الأمّة الّذين شهِدت لهم الأمّة بالخير وتلُّقتهم بالقبول، والفرق أو المذهب الّذي نحن بصدد البحث فيه أساس انحرافها هو ميلها عن الحقّ ونكوصها عن الرّجوع إلى الكتاب والسنّة والإقتباس من فهم السّلف الصالِح للشّرع عموما ولقضايا الإيمان والكفر خصوصا.

لأجل ذلك نوصي بجملةٍ من الوصايا أهمّها:

1. من الواجب على كلّ مسلمٍ التّسليم لله ولرسوله واتّباع المنهج الصّحيح الّذي تعارف عليه أهلُ السّنة والجماعة في الإعتقاد وأصول الدّين وكلّيات المسائل.

2. من الواجب على طلبة العلم والعلماء، بيان العقيدة الصّافية التي ورثت الأمّة من إرث مُحَّد صلى الله عليه وسلّم، والتصدّى للعقائد المنحرفة والأفكار الهدّامة التي تقوّض الدّين وتهدم بنيانه، والأمّة المسلمة اليوم تواجه حرباً عقائدياً وسياسياً وعسكرياً لم يسبق له مثيل في تاريخ المسلمين بل ومنذ فجر الإسلام، فالكفر الصليبيّ اليوم من الشّرق إلى الغرب متّفق على استئصال شأفة المسلمين ويحشدون ذلك بكل الجهود والإمكانيّات، فمن السّخافة أن يغفل علماء الأمّة عن واقعهم والتّقاعس عن دورهم المنوط بهم لكي يقودو الأمّة ويوجّها مسار أمورها إلى ما يأمره الشّرع.

3. من الواجب على الأمّة المسلمة أن تعود إلى دينها وتستمسك شرع ربّها وتثور لأجله، كي تعود إلى ريادتها وتكتب أمجادها وبطولاتها من جديد، وذلك هو الضّامن الوحيد الّذي به تنال العزّ والشّرف.

الخاتمة

وبعد:

ها نحن في نهاية البحث والمطاف، بعد أن سردنا ما تيسّر تسويده عن فكر الإرجاء وما شابهه من معتقد، وبيّنا ماهيته وظروفه ونشأته وأقوال السّلف فيه وكشفنا أضراره على الأمّة والدّين وسبرنا أغواره بغية تجفيف منابعه واستئصال شأفته، ولعلّ قارئ هذا البحث يجوب في ذهنه أسئلة عدّة، لم يجد بدا من التّساؤل فيها، أهمّها، هل الإرجاء اليوم فكرٌ أم جماعة أم حزبٌ ؟ وكيف نعرفُ من يتبنّى مذهب الإرجاء عن غيره ؟

إنّ لتلك الأسئلة دويّ في القلوب وصدىً في الأنفس، إذ هي تعبّر عن مظهر الحرص على سلامة المعتقد الكامنة في نفوس الأمّة بقدر ماهي تعبّر عن روح الجدّ والهمّة العالية التي في نفوسهم.

إنّ الإرجاء اليوم، صورُه متعدّدة و طرق وجوده بين الأمّة مختلفةٌ متنوّعة، ويتستّر تحت أثوبةٍ وألبسةٍ متباينة، فتارةً نجد وهو في عمائم من ينتسبون إلى السّلفية ومعتقد أهل السّنّة والجماعة زوراً وبهتانا ، وحيناً آخر نرى وهو في مجالس من تسمّو بالمثقّفين والمفكّرين ظلماً وعدواناً، إذن فهو ليس حزباً معلوماً ولا فصيلاً معيّناً بقدر ما هو فكرا ومعتقداً، وهذه هي مكمن آفته وعين معضلته، إذ لو كان جماعةً بعينها لسهل لنا التّحذير منه وبيان خطره على الأمّة، لكنّه ظاهرة فكرية ومظلّةٌ جامعة لطوائف شتّ جمع شتاتها هدف إفساد عقيدة الأمّة ومحاربة الإسلام وهدم الدّين من جذروه وكذلك تحقيق مآرب حزبيّة دنيويةٍ دنيئة، ووراء ذلك كلّه اتّباع هوى النّفس واستبدال العاجلة بالآجلة، وخابت من أهدافٍ وخسئت من غايات، فالله كفيل دينه وناصرُ أمّته.

إن الإرجاء جرثومةٌ فكريّة ولوثة عقديّة علِقت في جبين الأمّة، يقف عقبةً كؤودة وحاجزا كبيرا أمام تحرّر الأمّة اليوم من قبضة الإحتلال والتصدّي للحملة الصّهيوصليبيّة التي تتعرّض لها، ففقه الإستضعاف وعقيدة الذلّ والإستكانة التي هي من ثمار الإرجاء لا تبني مجداً ولا ترفع أمّة، يجب التخّلي عنها وتوعية المسلمين على مضارّها وخطرها، وذلك كله يقع على عاتق العلماء الرّبانيين والقادة المصلحين، وهذا هو الميثاق الّذي بينهم وبين ربّهم، كما قال تعالى: **[لتبيّننه للنّاس ولا تكتمونه]** فليتقّو الله في الأمّة وليحفظو الأمانة وليؤدّوها كما هي.

وأكتفي عند هذا، وأسأل الله سبحانه أن يغفر لي ما أخطئت به، فما أردت إلا الإصلاح وما توفيقي إلا بالله عليه توكّلت وإليه أنيب.

اللهم هيئ لهذه الأمّة أمر رشد، يعزّ فيه أهل طاعتك ويذلّ به أهل معصيتك، ويؤمر فيه بالمعروف وينهى فيه عن المنكر، ويحكم فيه بالشّريعة ويقام العدل ويرفع الظّلم، اللهم آمين .

فرغت من تسويدها، صباح يوم الخميس
العاشر من شهر شوّال عام /1441هـ

تم البحث بحمد الله وعونه

المراجع والمصادر

المصادر:

- القرآن الكريم .

- **التّفاسير:**

1. التّفسير والبيان، للمؤلّف: د. عبدالعزيز بن مرزوق الطّريفي، مكتبة دار المنهاج للنّشر والتّوزيع.
2. في ظلال القرآن، للمؤلف: ابراهيم الشّاذلي المعرف ب سيّد قطب، دار الرّسالة.

- السنّة النبويّة .

- **كتب الحديث:**

1. صحيح البخاري، للمؤلف: مُحَّد بن اسماعيل البخاري ، دار الفكر.
2. صحيح مسلم ، للمؤلف: مسلم بن الحجاج ، دار الفكر .
3. المسند، للمؤلف: أحمد بن حنبل ، دار المنهاج للنشر والتّوزيع.

المراجع:

أولاً: كتب اللغة:

1- معجم مقاييس اللّغة، للمؤلف: أحمد بن فارس بن زكريّا المعروب ب ' ابن فارس ' تحقيق : عبدالسّلام مُحَّد هارون، دار الفكر للنّشر والتّوزيع.

2- البحر المحيط، للمؤلف الفيروزآبادي مُحَّد بن يعقوب بن مُحَّد، تحقيق: مُحَّد حسن آل ياسين، الطّبعة الأولى، مطبعة المعارف في بغداد، عام 1975م - 1395هـ .

ثانياً: كتب العقيدة:

1- الإيمان، للمؤلف: الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام، تحقيق : ناصر الدّين الألباني، الطبعة الأولى ، مطبعة المعارف في عام 1421هـ - 2000م .

2- الإبانة ، للمؤلف : عبيدالله بن مُحَّد بن بطّة العكبري، تحقيق: رضا بن نعسان معطى ، الطّبعة الثانية ، دار الرّاية في عام 1415هـ - 1994م .

3- السنّة، للمؤلف : عبدالله بن احمد بن حنبل ، تحقيق: مُحَّد سعيد القحطاني ، الطّبعة الأولى ، دار ابن القيم ، عام 1406هـ - 1986م .

4- السنّة، للخلّال، للمؤلف: أحمد بن مُحَّد بن هارون ابو بكر الخلال، تحقيق: عطية الزهراني، الطّبعة الأولى ، دار الرّاية عام 1410هـ- 1989م .

5- الشّريعة، مُحَّد بن الحسين الآجري ابو بكر ، تحقيق : عبدالله بن عمر الدميجي ، الطّبعة الأولى ، دار الوطن عام 1418 هـ - 1997م .

6- الملل والنّحل ، للمؤلف: مُحَّد بن عبدالكريم الشهرستاني، تحقيق: احمد فهمي مُحَّد ، الطّبعة الثانية ، دار الكتب العلمية عام 1413هـ - 1992م .

7- شرح أصوا اعتقاد أهل السّنة والجماعة ، للمؤلّف : هبة الله بن الحسن اللالكائي ، تحقيق: نشأت كمال المصري، عام 1442هـ- 2001م.

8- مجموع الفتاوى، للمؤلف: أحمد بن عبدالحليم بن تيمية ، تحقيق: أنور الباز ، دار الوفاء ، الطبعة الأولى.

9- منهاج السنّة، للمؤلف: أحمد بن عبدالحليم بن تيمية ، تحقيق: مُحَّد رشاد سالم، الطبعة الأولى، جامعة الإمام مُحَّد بن سعود الإسلاميّة، عام 1406هـ - 1986م.

ثالثا: كتب الطّبقات والتّراجم:

1- الضّعفاء الكبير ، للمؤلف: أبو جعفر مُحَّد بن عمرو العقيلي، تحقيق: عبدالمعطي امين قلعجي، الطّبعة الأولى ، دار الكتب العلميّة.

2- المعرفة والتاريخ ، للمؤلف: يعقوب بن سفيان البسوي، تحقيق: أكرم ضياء العمري، الطبعة الثّانية ، مؤسسة الرسالة عام 1401هـ - 1981م

3- تهذيب الآثار، للمؤلف : أبو جعفر مُحَّد بن جرير الطبري، تحقيق: محمود مُحَّد شاكر، الطّبعة الأولى ، مطبعة المدني.

4- تهذيب التّهذيب، للمؤلف: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، الطّبعة الأولى ، المعارف عام 1327هـ.

5- سير أعلام النّبلاء ، للمؤلف: مُحَّد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، الطّبعة الأولى ، بيت الأفكار الدّولية.

6- الطّبقات الكبرى، للمؤلف: مُحَّد بن سعد الزهري ، تحقيق: علي مُحَّد عمر ، الطّبعة الأولى ، مكتبة الخانجي عام 1421هـ - 2001م .

رابعاً: الكتب المعاصرة والرّسائل العلميّة:

1- التّحذير من الإرجاء ، مجموعة من فتاوى اللجنة العلمية للإفتاء بالسعودية، دار عالم الفوائد للنّشر والتوزيع.

2- الفصل بين النّفس والعقل، للمؤلف: د. عبدالعزيز بن مرزوق الطريفي.

3- إمتاع النّظر في كشف شبهات مرجئة العصر، للمؤلف: عاصم البرقاوي .

4- التّنبيهات على مافي الإشارات من الأغلوطات ، للمؤلف حسّان بن حسين آدم.

5- تبصير العقلاء بتلبيسات أهل التجّهم والإرجاء، للمؤلف: عاصم البرقاوي.

4- تحكيم الشّريعة وصلته بأصل الدّين، للمؤلف: د. صلاح الصّاوي.

3- تسرّب المفاهيم الإرجائيّة في الواقع المعاصر، للمؤلف: سعد بجّاد العتيبي، مؤسسة البيان للبحوث والدّراسات.

7- رسالة في الإيمان والكفر، للمؤلف: أبو حفص سفيان عزلي.

7- ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي، للمؤلّف: د. سفر بن عبدالرحمن الحوالي (وأصلها رسالة علمية مقدّمة لنيل درجة الدّكتوراه في جامعة أم القرى .

8- مختصر تاريخ الدّولة العثمانيّة ، للمؤلف: مصطفى عبد القادر المعروف ب " أبو مصعب السوري ".

خامساً: المواقع الإلكترونيّة:

- موقع الدّرر .

فهرس الآيات

.15	وآخَرُون مُرجَون لأمر الله	التّوبة	106	2
.16	ما كان للنبي والّذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين	التّوبة	113	39
.17	قال لقدْ علِمت ما أنزلَ هؤلاء	الإسراء	102	10
.18	هل أدلّك على شجرة الخُلد وملكٍ لا يبلَى	طه	120	5
.19	قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ	المؤمنون	1	23
.20	ومنْ أضَلّ ممّن اتّبع هواهُ بغير هدى من الله	القصص	50	5
.21	كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون	الرّوم	59	36
.22	لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ	الفتح	4	20
.23	والملَكُ على أرْجائِها ويَحْمِلُ عرشَ ربّك فوقهم يومئذٍ ثمانية	الحاقّة	18	2
.24	مَالكُم لا ترْجُون لله وقاراً	النّوح	13	2
.25	قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ	الجن	22	38
.26	وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ	البيّنة	5	20

فهرس الأحاديث

فهرس الأعلام

.21	عبد الرحمن بن أبي الحسن علي بن مُحَّد القرشي التيمي البكري	7
.22	عبد الرحمن بن عمرو بن يُحْمَد الأَوْزَاعِيُّ	17
.23	عبد الرحمن بن مُحَّد بن الأشعث بن قيس الكندي	9
.24	عبدالعزيز الطريفي	5
.25	مُحَّد بن جرير الطبري	3
.26	مُحمّد بن أبي بكر بن أيّوب بن سعد بن حريز الزرعي الدمشقيّ	5
.27	مُحَّد بن عبد الكريم بن أحمد الشهرستاني	3
.28	مُحَّد بن عبدالوهّاب	34
.29	مُحَّد بن الحسين بن عبد الله البغدادي الآجري	21
.30	مُحَّد بن علي بن مُحَّد بن عبد الله الشوكاني	33
.31	مُحَّد بن يعقوب بن مُحَّد	2
.32	مصطفى عبدالقادر	14
.33	قيس بن ماصر	9
.34	قاسم بن سلام بن عبد الله	33

فهرس الموضوعات